15me Année No. 719

Lundi — 24 — 3 — 1947

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧١٦ « القاهرة فى يوم الاثنين أول جمادى الأولى سنة ١٣٦٦ — ٢٤ مارس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

## الخيـــانة العظمى ...!

للأستاذ محمود محمد شاكر

كثرت لجاجة الصحف البريطانية ومراسليها فى مسألة مصر والسودان ، ولا تزالُ تلحُّ فى ترديد الأقوال التى تشكك فى عرض قضية الجلاء عن وادى النيل — مصره وسودانه — على مجلس الأمن أو أية هيئة دولية يكون من حقّها أن تنظر مثل هذه القضية ، ولم تزل هذه الصحف ومراسلوها يدسُّون كلمة « العودة إلى المفاوضة » دسًّا عجيباً حيثُ يحتاج إليها الكلام وحيث لا يحتاج . وهـذه عادة قديمة وأسلوب عتيق كسائر أساليب بريطانيا فى الخُدَع التافهة التى تسمِّيها سياسة . ولسنا ندرى على أىّ أساسٍ يبنى هؤلاء المراسلون ، أو الموحون إليهم ، كلامَهم وثرثرتهم هذه . ولـكن الشيء الذى لا نشكّ نحنُ فيه البتّة ، والذى ينبغى أن تعرفه بريطانيا ومن ترسلهم إلى مصر والسودان ليحملوا إليها أنباء هذه البلاد — هو أن الشعب المصرىّ السودانىّ قد قال كلمته منذ اليوم ، وقد قضَى على كل سياسىّ يخرجُ على إجماع الشعب بالخيانة العظمى كما تفهمها الشعوب — لا كما تفهمها الحكومات . وقد انعقد إجماع الشعب على اختلاف الأحزاب التى ينتمى إليها :

١ — بأن لا مفاوضة بيننا وبين بريطانيا بَتةً وقولا واحداً .

٢ — وأن الجلاء كلمةٌ يرادُ بهـا أن تجلوَ بريطانيا عن وادى النيل لا عن مصر دون الـسودان .

٣ — وأن طلَب الجلاء ينبغى أن يعرضَ على هيئة دولية لها شرفٌ تخافُ أن يُثلَم ، ولها مكانة تتحرَّج عن سقوطها فى أعين البشر .

٤ — وأن التجربة قد دلّت على أن بريطانيا خِلْوٌ من هذين الشرطين ، وهما شرطان لا بُدَّ منهما لمن نرتفع إليه بقضيتنا أو من نفاوضه فيها .

٥ — وأن كل دعوةٍ يُراد بها أن نعود إلى المفاوضة فى حقٍّ من الحقوق المكفولة لسائر البشر ، ليست إلا خيانة توجب على مُرتكبها ما توجبه سائر الخياناتِ من قصاصٍ .

٦ — وأن مصر والسودان أمةٌ واحـدة ، سوف تتولى بنفسها عقاب كل خائن .

هذا مختصر ما ينبغى لبريطانيا وساستها أن يعلموه علم اليقين .

أما مراسلوها وجواسيسها الذين كُلِّفوا بأن يحملوا إليها الأنباء التى تهتدى بها فى سياستها التى تخصُّ مصر والسودان فقد كذبوها أخسّ الـكذب ، لا لأنهم يريدون الـكذبَ على أمّتهم البريطانية ، كلاّ . بل لأنهم جهلوا كلَّ الجهل طبيعة الشعب المصرى السودانى ، وخدعتهم الظواهرُ عن حقيقة النار المضطرمة فى أحشاء مصر والسودان ، منذ استيقن شعب مصر والسودان أنّ بريطانيا أمة منْ أخلاقها الغَدْر والوقيعة وإخلاف الوعدِ والتلوّن فى ألفاظٍ من بهرج الكلام وزائفه

ونحن لن ننصب أنفسنا لإفهام هؤلاء القوم ما طبيعة شعب مصر والسودان ، ولكننا سنحدثهم عن مسألة المفاوضة نفسها كيف كان من أمرها ، ولهم بعد ذلك أن يحكموا بما يشاؤون ، فإن إخراج الغرور من رأس المغرور أعسر من رد النور إلى عيني الأكمه ؛ ولا سيما إذا كان غروراً بريطانياً متغطرساً .

ففي أوائل القرن الماضي قام في مصر فتى ينادي في جنبات هذا الوادي : « بلادي ! بلادي ! » فهبت مصر والسودان تتلفت مستجيبة لهذا الداعي النبيل الصوت ، الحبيب النداء ، القوي الإيمان . لقد كانت مصر والسودان هي التي تنادي مصر والسودان ، فهي دمه ، وهي أعصابه ، وهي نفسه ، وهي جنانه ، وهي لسانه ، وهي حقيقته التي صار بها هذا الفتى يُدعى بين الناس « مصطفى كامل » . ثم أوحت مصر والسودان إلى فتاها أن يقذف في وجه بريطانيا ذات البأس بكلمتها الخالدة : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » ، لأن حقيقة مصر والسودان المستقرة في بنيان هذا الفتى كانت تعلم من سر ضميرها أن هذا هو الحق ، وأما كل شيء سواه فباطل وقبض الريح ، كما قال سليمان . نظرت مصر والسودان إلى هذا الفتى الضئيل المعروق وهي تبكي من فرط لهفتها وتخوفها ومن فرط ما كانت تشعر به يومئذ من العجز الذي استهلكها وأثقلها عن أن تكون مثله توقداً ونشاطاً وقوة وحياة ، ولكنها آمنت به ورضيت عنه وجعلت دمعها شهادة الإيمان بحقه وحقها الذي أجراه الله على لسانه

ونجمت يومئذ فئة من خلق الله الذين شاء برحمته وحكمته أن يجعل مصر والسودان لهم منبتاً ومباءة كما جعلها منبتاً ومباءة لسائر الهوام وخشاش الأرض وهمج الجو ، وقامت بريطانيا تتعهد هذه الفئة وتغذوها وترضعها من درها بغية أن تشتد فتكون سباعاً وجوارح وأعواناً لها على الفتك بهذا البلد الأمين ، وما هو إلا قليل حتى خرج منها خلق يعوي في وجه الفتى وينبح ويهر هريراً لا ينقطع ، ولكن مصر والسودان أبت إلا فتاها فأطاعته وأنكرت تلك الفئة التي نبتت أبدانها على شيء غير نيلها وتربة هذا النيل .

ثم قبض الله إليه فتى مصر والسودان ، فخرجت مصر والسودان في جنازته تبكي الصوت الذي ردد الكلمة الخالدة المنبعثة من سر أحشائها : « بلادي ! بلادي ! لامفاوضة إلا بعد الجلاء » ، خرجت مصر والسودان حتى سباع بريطانيا وعواتها ونباحها يبكون أيضاً ، لأن في دمهم شيئاً من مصر كان يحن بهم إلى صوت بلادهم وماءها ونواحها .

بقيت مصر تذكر فتاها ، وتسمع صدى كلماته من حيثما تلفتت ، حتى جاءت الحرب العالمية الأولى وخشعت الأصوات لهدّ القنابل ودوي الرصاص ، فما كاد يسكت ناطق الحرب حتى انبعثت مصر بالقوة الدافعة التي جيشها في قلبها هذا الفتى الشاب ، وصرخت في وجه بريطانيا الظافرة : « حقي ! حقي ! أيتها الناصبة » لم تهب بأسها ولا سطوتها ولا جبروت الظفر المسكر الذي تملت بنشوته .

ثم كان شيء لا ندري كيف كان ! !

كان منطق الحوادث يقضي بأن تردد هذه الجماهير الثائرة كلمة مصر والسودان الخالدة : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » ، ولكنها اقتصرت يومئذ على ما يتضمن ذلك النداء الحكيم الذي نادى به فتى مصر فحملت تقول « الاستقلال التام » ، وخرجت بريطانيا تقتل بالرصاص جمهوراً ثائراً مطالباً بحقه مستبسلاً في سبيله ، فكلما انطلقت رصاصة انطلقت معها صيحة واحدة من حناجر أمة بأسرها : « الاستقلال التام » ، فكأنها رأتها تغني عن كلمتها : « لامفاوضة إلا بعد الجلاء » . فهما عندها كلمتان مترادفتان

وألحت بريطانيا في التقتيل والفتك والعدوان والبغي ، وألحت مصر والسودان في الجرأة على باطل بريطانيا مطالبة بحقها وهو « الاستقلال التام » ، ولم يكن يدور بخلدها شيء إلا هذا النداء وحده ليلا ونهاراً وبكرة وعشية ويوماً بعد يوم ، ولم يكن يجري في وهم الشعب الثائر الطالب بالحق أن أحداً سوف يقول : تعالى أفاوضك يا بريطانيا ! فيحذر عندئذ حذره ويعود إلى ندائه الأول الذي هو الكلمة المستكنة المضمرة في دم هذا الشعب الذكي على قلة علمه ، القوي على ضعف حيلته .

ثم كان شيء لا ندري كيف كان ! !

كان زعيم هذا الشعب الثائر « سعد زغلول » ، وكان رجلا شيخاً ، ولكن ناهيك به من شيخ ، وكان خطيباً حسبك من خطيب ، كان يسمع الهمهمة التي تدور في دم الشعب

ولا تجد لها بياناً ، فيصوغ لها بياناً من عنده ويلقي به إلى الشعب فإذا هو يسمعُ كل ما في ضميره مترجماً في ألفاظ حية تتردّد في أذنيه . وفُتِن الشعب بسعد لسانه الذي ينطقُ بأسراره التي تتحيّر في دمه ولا يعرفُ كيف يبينُ عنها ، وأسلم القياد لرجل يهديه ويرشدهُ ويعبّر عنه ، ويلطم بشيخوخته الوقورة الصاحية شبابَ بريطانيا الظافرة الطائشة السكرى براح النصر .

ثم كان شيء الله يعلم كيف كان ! !

فإذا هذا الشعب المأخوذ بسعد ، الثائر بالثورة في طلب حقه المتهجّم على بريطانيا العاتية ، المائجُ من منبع النيل إلى مصبه يطلبُ الحرية من قيوده وآصاره فتتلقاه أسنّة الرماح البريطانية وبتخطّف أرواحه رصاصُ الوحوش ذاتُ المدنية العريقة منذ كان أرسطو إلى هذا اليوم !! إذا بهذا الشعب المنادي بالاستقلال التام يسمعُ دعوةً إلى مفاوضة بريطانيا لا يدري أحدٌ كيف جاءت وكيف تدسست إليه ، وإذا سعدٌ هو المفاوض ، فشت مصر في آثار زعيمها ثقةً به وتسليماً له ، ورجتْ لحكيمها الشيخ أن يردّ إليها باستقلالها التام ...

كان هذا ولا يدري أحدٌ كيف كان !!

ولكن بقيتْ في مصر والسودان بقيةٌ لم تزلْ تسمع صدى كلمات الفتى الأوّل ، فهبّت تصرُخ في وجه الشعب المطالب بالاستقلال التام ! ! حذار حذار ، وألحّت في صراخها ولكن مات صوتها في دويّ الأصوات المطالبة بالاستقلال التام ! وفي موْج الجماهير ، وفي أزيز الرصاص وهديره وقصفه . وأخيراً وقف رجلٌ يسخر من كلمة مصر الخالدة : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » سُخريةً لاذعةً ملفّفةً في ثوب الدُّعابة المحبّبة إلى هذا الشعب منذ قديم الأزمان ، والذي يُداعبُ ويحبّ الدُّعابة ولا ينساها وهو في حبل المشنقة ، أو في سياق الموت . وكانت هذه الدُّعابة أفتل من رصاص بريطانيا وحرابها ونذالتها جميعاً في قتل كلمة مصر والسودان : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » ، حتى صار من يقولُ بها معدوداً عند أصحاب العصبيات الجاهلية في عداد المجانين والموسوسين والبُلهِ والملاحيس .

نعم كان ذلك ولكن لا ندري كيف كان !!

ولكن بقي شيءٌ واحدٌ جهلته بريطانيا وجواسيسُها ، وجهله كل مِفراحٍ طيّاش من أصحاب العصبيات الجاهلية التي غلبت على قلوبهم وأعمت أعينهم . ذلك الشيء الواحد هو أن المفاوضات ظلّت تجري منذ بدأت إلى أن كانت سنة ١٩٣٦ ، والشعب يتتبّعُ المفاوضة بقلبه عسى أن يرجع إليه الرجال المفاوضون بحقّ مصر كاملاً غير منقوص ، وهو من ورائهم يدفعهم دفعاً رجاء أن ينفعهم ذلك فينتفع بنفعهم . ولكن ... ولكن مرة أخرى وفي الثالثة كان الشعب يفعل ذلك مجتمعاً ، فلو سألتَ كل رجل وكل أنثى وكل طفل أيضاً : « هل ترجو من وراء هذه المفاوضات خيراً ؟ » فهو قائل لك : « يا سيدي ، ياما جرّبنا » ثم يمضي لشأنه يائساً تكاد دماؤه التي تجري في عروقه تبكي من الحسرات التي تقطّع قلبه وتنهش ضمير حياته !

هكذا كانت مصرّ والسودان رغم المفاوضات الدائرة ، ورغم مطالبة الشعب مجتمعاً أحياناً بهذه المفاوضة . كانت الدّماء تجري في الأبدان المصرية السودانية وتُهَمْهِم وتدمدمُ ، ولكن الرجُل الذي يفهم معنى هذه الهمهمة الخفيّة لم يكنْ موجوداً ، وهي لا تستطيع العبارة عن نفسها بلسان ناطقٍ مبين . وبقينا جميعاً ننظُر ، لأن عبارة أمثالنا لن تؤدّي إلى شيء ، إذ لم يكن لأحد يومئذ من قوة الاستجابة لنداء الدم المصري السوداني ، ولا من استمداد الأبدان والعقول التي تجري فيها هذه الدماء ، ما يحمل لكلمة مصر الخالدة « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » صدىً يتردّدُ فيستجيب له الوادي كلّه كما استجاب للفتى الأوّل مصطفى كامل ، وبقيت الأبدانُ العاتيةُ (والتي هي الشعب بأفراده) في ناحية ، والدّم الذي يجري في هذه الأبدان نفسها في ناحيةٍ أخرى — وجعلَ الله بأسنا بيننا ، فكانت إرادة الله ولا رادّ لما أراد .

ثم كان شيءٌ ونحن ندري كيف كان .

فقد سكتتْ زمجرة المدافع ، وعجيج القنابل الذرية ، وقامَ رجالٌ يريدون مفاوضة بريطانيا ، ولكنهم لم يلبثوا إلاّ قليلاً حتى سمعوا صوت الدّم المصري السوداني ينطقُ من كُلّ ناحية « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » فتمّت المعجزة التي كان كل امرىء يترقّبها ، وكان لمصر والسودان النّصر بعد الهزيمة المنكرة الأولى ، وظهرت كلمةُ الحقّ حتى صار أكفرُ الناس بها هو أشدّهم إيماناً ، وأجودهم في سبيلها بروحه وحياته ، وعادت مصر

# مقالة بلا موضوع !

للاستاذ على الطنطاوى

قال لى من أيام صديق لى : أتسمع ؟

قلت : وهل تحسبنى أصم ؟

قال : إن كتابتك لا تعجبنى .

قلت : آسف جداً !

قال : لا تسخر . سلنى ، لماذا ؟

قلت : سألتك .

قال : لأنك لا تعرف الدنيا ... لذلك تجيء كتابتك بعيدة عن الحقيقة ، خالية من الصور ، ليس فيها حياة ، ولا ابتكار .

قلت : إن ناساً قد زعموا لى غير ما قلت .

قال : هو ما أقول لك ، فلا تصدقهم ، إنهم يضحكون عليك إنى الحظ من كتابتك أنك تعيش منطوياً على نفسك ، بعيداً عن الدنيا ، فقل لى ، بالله عليك ، كيف كنت تعيش فى دمشق ؟

قلت : كما يعيش الناس ؛ أغدو على محكمتى صباحاً وأخرج منها ظهراً ، فأمر على المكتبة العربية وهى من أحب الأمكنة إلىّ ، وأصحابها إخوان كرام علىّ ، فألبث فيها ساعة ، وقد أتغدى فيها ، ثم أمضى إلى الدار فلا أفارقها إلى غداة الغد ، إلا مرات معدودة فى السنة كلها أزور فيها صديقاً أو قريباً ، أو أخطب فى حفلة ، وقد كنت قبل أن ألى القضاء أجلس أحياناً فى قهوة ، أو أمضى إلى سينما ، فتركت ذلك كله .

قال : وفى مصر ؟ كيف تعيش ومن زرت وماذا رأيت ؟

قلت : أعيش أنا وأسرتى فى منزل خالى ، وأمضى إلى « الرسالة » كل يوم ، وإلى الوزارة أو المحكمة أو المجلس الحسى فى أكثر الأيام . وأنا فى مصر كما كنت فى الشام ، معتزل متفرّد أفرّ من لقاء الناس ، وأنأى عن المجامع ، ولم أزر أحداً فى داره إلا نفراً من علماء الأزهر ، وزرت لجنة التأليف والترجمة مرة ، وجلست مرة واحدة فى القهوة ، وخمساً فى السينما ، رأيت فى إحداها ( فلماً ) عربياً فخرجت منه غضبان أسفاً ، ورأيت فى سائرها أفلاماً فرنجية ، ومشيت إلى الحدائق والمتاحف ولولا الصغار ما مشيت إليها ؛ فقد وجدت الحدائق ، مجمع غيد ودار مواعيد ، ورأيت الناس فى حديقة الحيوانات ، ينظرون إلى امرأة مضطجعة على القمد أكثر ما ينظرون إلى سبع البحر ، ويضحكون لفتيات يلعبن على الحشيش أكثر مما يضحكون للقردة ترافص فى الأقفاص ...

قال : وهذا كل شيء ؟

قلت : نعم . لا شيء فوقه ولا تحته .

---

والسودان إلى حقيقتها المستكنّة فى سِرّ القلوب والدماء والأحشاء ! « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » : كلمة حكيمة صريحة قويّة ، ظاهرة المعنى ، بيّنة الطريق ، كريمة المنبت لأنها بنت مصر والسودان — لا يسخرُ بها بعد اليوم أحدٌ إلا كان دَمُه هو أوّل من يسخرُ منه ويزدريه ويلعنُه ويبرأ من الانتساب إليه .

هذا ما كان من أمر المفاوضات بيننا وبين بريطانيا ، فليفهمه من شاء كما شاء . وليقُل أصحاب الغرور المتغطرس ، وليقل أشياعُهم من المضللين : هذا شعرٌ ، وهذه عاطفةٌ ، ولكنها ليستْ بحقيقةٍ معقولة أو تحليل متّزن . ونقول : نعم ! إذا شئتم ، ولكنّ الشعوبَ هى العواطف أوّلاً ، وعواطف الشعوب أصدقُ حُكْماً من عقول الساسة !

وأخيراً ، ليعلم من لم يكن يعلَم من المتغطرسين أو من الساسة العقلاء الذين أظلّتهم سماء مصْر ، أن دم الشّعب قد نطقَ بالكلمة المتحيّرة فيه ، وأجمعَ عليها ، وكتبَ على نَفْسه أن يَنفِي الحبثَ عن مصر والسودان . ومعنى ذلك أنّ كل من خرج على إجماعه فقد خانَ وادى النيل خيانة عُظمى ، وأنه رهنٌ بالقِصاص ، وأن قصاصَ الشعوب أبقى على وجه الدهر من قصاص الحكومات .

والكلمة الآن لِمصْر والسودان ، لا لفلان الزّعيم ولا لفلان السياسيّ — فمن شاء أن يخالف عن كلمة مصر والسودان فليتقدّم ، ولينظر ما هو لاقٍ فى غد أو بعد غد .

محمود محمد شاكر

قال : ألم أقل لك ، إنك لا تعرف الدنيا ؟

قلت : فكيف تريد أن أعرفها ؟

قال : كما يعرفها كل أدباء العالم ، وذلك ... ولكن قل لى أولا ، هل تحب ؟

قلت : أحب ؟ نعم . وهل فى الدنيا من لا يحب ؟

قال : تحب من ؟

قلت : أحب أولادى ، وأهلى ، وإخوتى ، وعمتى ...

فصاح : لا لا ، ما هذا أعنى . هل أنت عاشق ؟ إذن يجب أن تعشق ، إنه لا شىء كالعشق يصب الحياة فى الأدب .

قلت : هل تريد أن أختار فتاة من الطريق فأعشقها ؟

قال : من الطريق ، من الشباك ، من السينما ، المهم أن تعشق .

قلت : ويكفى هذا لتعجبك كتابتى ، وترى فيها حياة ؟

قال : نعم .

قلت : سهلة ، سأعملها غداً ؛ أحلق ، وألبس أحسن ثيابى ، وإن لم يكن عندى ، والكلام بيننا ، إلا ثوب واحد ، ألبسه كل يوم ، وأقف فى ... أين يقفون عادة ؟ فى شارع عماد الدين مثلا ، ثم أختار أجمل امرأة تمر بى ، فأقول لها : العفو ياست ، أو يامدموازيل ، كما تقولون فى مصر ، كلمة من فضلك . فتقول : ماذا ؟ فأقول : أنا كاتب يكتب مقالات مريضة ، وقد وصف لى أطباء الأدب ، أن أحب لتصح مقالاتى ، فهل تأذنين لى أن أحبك ؟

قال : أنا لا أحب الهزل .

قلت : تحب الجد ؟ إذن قل لى ، ماذا بعد الحب ؟ أى بعد الموعد واللقاء ؟ ماذا تكون النتيجة على رجل متزوج له أولاد ، وعلى امرأة لا يمكن أن تكون عجوزاً ولا كهلة ما تكون إلا فتاة غريرة ، أو عذراء بكراً ، لم يطوّح بها الاحتياج والفقر ، ولكن هذه المدنية الملعونة ، وهذا السفور والاختلاط ؟ أيساوى ما أفقده من شرفى ودينى ، وما تضيعه من عفافها ومستقبلها ، المقالات التى أكتبها يومئذ حية مشتعلة ؟ وهل تكون تلك المقالات إلا جريمة ثانية لأنها تدعو إلى مثل هذا الحب ؟

قال : إنك تتكلم بلسان العصر الماضى ، إنا لن نرجع إلى الوراء ، فلا تحاول المستحيل ، هذه هى دنيا اليوم ، ولا بد أن أريكها ؛ فقم معى .

قلت : إلى أين ؟

قال : لا تسأل : امش حيث أقودك .

قلت : بشرط أن لا تدخلنى خمارة ولا ماخوراً ولا مرقصاً ، ولا مجمعاً فيه نساء سوافر .

قال : فكيف إذن ترى الدنيا ؟

قلت : وليست الدنيا إلا هناك ؟ هذه دنيا الرجس ...

قال : ينبغى أن يرى الأديب كل شىء .

قلت : إننا تعلمنا من مشايخنا الرجعيين ، أسلوب الدعوة إلى الله ، وكيف تكون بالحكمة والتدريج لا تكون طفرة ، فلماذا لا تمشون يا أيها المجددون على هذه الحكمة فى الدعوة إلى ... إلى ... رؤية الدنيا ؟!

قال : طيب ، آخذك اليوم إلى أمكنة لا تنكرها ولا تأباها

فضحكت وقلت : ثم تمشى بى خطوة بعد خطوة ، حتى تبلغ بى حيث تريد . هذه هى الحكمة .

قال : هيا بنا ، على أن لا تنفق شيئاً ، أنت فى ضيافتى .

وأركبنى سيارة ، سلكت بنا شوارع على النيل ، رأينا فيها أزواجاً من الناس ، أزواجاً فى العدد لا بعقد المأذون الشرعى

فقال لى : ترى هؤلاء ؟

قلت : نعم .



قال : مثل هذا يفتح قريحة الأديب حتى تتدفق بالشعر الحى الذى يهز القلوب من قراراتها ، فهل أمتع من هذا ؟ جمال الطبيعة وجمال الحب ...

قلت : والحكومة ترى هذا ولا تمنعه ! والعلماء يبصرونه ولا ينكرونه ! والآباء ...

قال : علماء إيه ؟ وبتاع إيه ؟ إنت فين يا أخى ؟

ومشينا ، ومر بى على قصور شامخات ، فسماها ووصف لى ما يجرى فيها ، من دفق الذهب على موائد الميسر ، وخنق الأعراض فى سرر الشهوات ، وحرق الأكباد بكؤوس الشراب ، ثم قال لى فجأة : هل تعرف الرقص ؟

قلت : لا ، ولم أحضر فى عمرى حفلة رقص ، ولم أر راقصة إلا فى السينما يوم كنت أدخلها

فصفق كفاً بكف ، وأبدى الرثاء لى والشفقة علىّ ، وقال بلهجة المؤدب الناصح ، للمريد الطائع :

يجب أن تتعلم الرقص ، إن له فى مصر مدارس خاصة ، وإنك تلقى فيها من يلزمك الحب إلزاماً ...

قلت : وهل الرقص إلا الفاحشة المستترة ، كالسم يوضع في علب الحلوى ؟

فقال متحمساً : لا . أبداً . من قال هذا ؟

قلت : أنا .

قال : هذه أفكار المتأخرين الجامدين .

قلت : وما هي أفكار المتقدمين النائمين ؟

قال : ثق أننا لا نفكر أبداً عند الرقص إلا في الرياضة والموسيقى ...

قلت : ألست تعانق فتاة غريبة عنك ، يكاد يمس وجهك وجهها ، وصدرك صدرها ، و ... أعني ألست تحتضنها ؟

قال : وماذا في ذلك ؟ لماذا لا تنظرون إلا إلى الناحية البهيمية ؟ هذا فنّ !

قلت : وكشف أفخاذ بنات المدارس للرياضة فن ، وتجردهن للسباحة فن ، وجلب الفتاة العارية ليصورها طلاب مدرسة الفنون الجميلة فن ، إن كلمة الفن اليوم مرادفة لكلمة الفجور عند أجدادنا الأولين .

وانتهى الطريق فنزلنا من السيارة ، وقلت : أشكرك . السلام عليكم .

قال : إلى أين ؟ إننا سنتعشى ثم نبدأ سهرتنا .

قلت : نبدأ ؟ صارت الساعة التاسعة !

قال : وماله ؟

قلت : نتعشى في البيت ونعود .

قال : دعك من البيت ، إنا اتفقنا على أن أريك الدنيا .

قلت : وهل البيت في الآخرة ؟

فأصرّ فعلمت أن العشاء في السوق من شرائط رؤية الدنيا إجادة الكتابة ، فقبلت ومشينا .

قلت : إني أعرف ( مطعما ) جيد الطبخ .

قال : أي مطعم ؟

قلت : الحاتي .

قال : الحاتي ؟! تعال أرك الدنيا . امش . امش ...

قلت : وأين الدنيا ؟

قال : .. .... ...

وسمى أسماء نسيتها .

وأدخلني واحداً من هذه المطاعم ، فرأيت مكاناً مزدحماً ، وسقفاً واطياً ، وهواء ثقيلا ، ودخاناً مطبقاً ، وضجة مرهقة ، وموائد ملتصقة ، ثم جاءنا النادل فكلمته بالعربية ، فلوى شدقه استكباراً ولم يفهم ولم يجب ، فكلمه صاحبي بلغة لا أعرفها ، فجاءنا بطعام أدعو الله أن لا يطعمه مؤمناً ، إلا إذا عذبه به في الدنيا تكفيراً لذنبه ، وتخليصاً له من عذاب الآخرة ، طعاماً خبيثاً ، وشيئاً كالضفادع والسراطين وعقارب البحر ودود البر ، وحشرات الجو ، وشيئاً لزجاً كأنه مرهم الزنك مخلوطاً بالاكتيول فرفعت يدي عنه ولم أمسه ، وأكل صاحبي بشماله ، لأن من العيب كما فهمت أن يأكل باليمين ... واستعمل ملاعق وأشواكا وسكاكين كباراً وصغاراً تسلح عصابة كاملة ... ثم جاء النادل بزجاجة فتحها له ، قرأت عليها اسم خمرة من الخمور ، فالتفت فإذا الذي نحن فيه خمارة ، فنهضت وقمت ، وقلت :

أما إذا بلغ الأمر مبلغه ، فاعلم أني أمزح معك ، وأتسلى بصحبتك ، وما أحب أن تمتد المزحة أكثر من هذا ، ولله عليّ أن لا أصحبك بعد اليوم

ورأيته قبل أن أنصرف ، قد دفع ثمن عشائه وزجاجته تسعين قرشاً ، أطعم بمثلها أسرتي كلها يوماً كاملا .

وعدت إلى الدار ، فتلقاني أهله بالمودة والبشر ، وأسرع الأولاد وتعلقوا بي ، فأحسست إذ أبصرت دعة المنزل ، ونعمة الأهل ، وسعادة الفضيلة ، ولذة الاستقرار ، بمثل ما تشعر به السمكة تلقى في الماء ، بعد أن أشرفت على الاختناق .

هذا وما مشينا إلا خطوة واحدة من الطريق ، وما رأيت إلا المطعم ، فكيف لو أكلت الطريق ورأيت الدنيا ؟!

لا . لا أريد هذه ( الدنيا ) ، خليتها لكم ، فاسرحوا فيها وحدكم وامرحوا ، لا أريدها ، حسبي دنياي ، فهي خير لي وأجدى عليّ ، ولو لم يكن فيها إلا راحة الأعصاب ، وهدوء البال ، وصحة الجسم ، لكان ذلك مرغباً لي فيها ، صارفاً لي عما سواها ، فكيف ومع ذلك كله تقدير الناس ، ورضا الله ؟

أما الأدب فإن كان لا يعجب الناس منه إلا ما يجيء بسهر الليالي ، وذرع الطرقات ، وسكنى المراقص ، وإغراء الغيد بالفواحش ، وسلوك طريق جهنم ، فإن أهون شيء عليّ أن أهجره وأن أطلق الكتابة ثلاثاً ، ثم لا أعود إليها ، ولا أقبل عليها ، وأن أنام بعد مستريحاً خليّ القلب فارغ الذهن ، إذ لم أخسر بتركها شيئاً ولا خسر القراء !

**علي الطنطاوي**

# صور تان للخير والشر

للأستاذ عبد المنعم خلاف

رجلان ...

أحدهما ملك كريم هبط إلى الأرض بروح السماء ، وسيصعد إلى السماء بمكرمات الأرض ...

وثانيهما روح خبيث صعد من الطين كأنه فقاعة من غاز عفن ! أو كأنه بثرة ذات قيح وصديد فى وجه مجدور ... ، ثم عاد وسفل فى الطين وأبى الارتفاع ، وسيكون مرجعه إلى عاله ، عالم نجاسات الأرض

وقد رأيتهما فى مكان واحد فى وقت واحد ، فرأيت الضدين الأبديين الخالدين تصطرع روحهما على روحى ، فكانت محنة هى محنة العيش بين المتناقضين كمحنة الحديد يوقد عليه فى النار ثم ( يُطَشُّ ) فى ماء مثلوج ...

أولهما له وجه أصيل الحسن والسماحة عميق المعانى الإنسانية ، يأخذك إلى رحاب الوضوح التفاؤل والحب العميق للخير، ويدعوك إلى تصديق ما أنت به دعوات السلام والحب والبر ، وله عينان كأنهما منبعا نور وصفاء يغسلك بأشعته ويطهرك وينير لك سبل الحياة .

والثانى له وجه عميق القبح ممسوخ المعانى ، رآه مرة أحد أرباب الصفاء والنفاذ فقال : إنه وجه غادر ... وله عينان كأنهما جُبَّان جفّ فيهما الماء وسكن الظلام وانطلقت الحشرات ، فهما يغمران قلبك بالظلام والوحشة ، ويأخذان فكرك وخيالك إلى أودية التشاؤم والكراهية للانسانية ، ويوحيان إليك أن كل ما تقرأ عن عالم الخير والسلام وهم واهمين وغفلة غافلين بلهاء ...

وللأول يد تفيض بالخير فيضاً ولا تحبسه عن أحد ، وتعطى الناس مستحقين وغير مستحقين ، وتمسح الجراح والآلام ، وترتق الفتوق وتسد الثغور وتسند الذى يريد أن ينهار وتشير دائماً إلى منطقة النجاة والسلام كأنها علامة إرشاد منصوبة على طريق الإنسانية ...

وللثانى يد كأنها ناب ذئبة جائعة ذات أجراء صغيرة ، فهى تختطف لنفسها ولأجرائها قلوب الناس وأكبادهم أو كأنها فم قبر مخروق يأخذ ولا يعطى إلا الثكل والفقد ...

الأول عظيم بالطبع ، عظيم بالوضع ، يتوجُّه مجد الفعال العظيمة والمكرمات الخالدة ، ولكنه يتواضع حتى يحس محدثه ومجالسه أنه أمام رحمة مجسمة خلقت إنساناً ...

والثانى لا يحملك وجهه وعمله على إعطائه ما يليق بآدمى من احترام والتناس ، وإنما تجفل لمرآه أول ما تقع على عينك ظلاله وعلى وعيك أعماله ، ولا يحملك ما يحاول أن يحيط به من زينة الثياب والرياش والأثاث البراق إلا على مقارنة قبح ذاته وصفاته بجمال ما يحيط به من الأثاث الجامد !

***

هذا الأول أسدى لنفسى معانى كثيرة من الخير ، وما تملك نفسى إلا أن تسدى إليه الحب وتسجيل الذكر وتخليد الصورة فى مثل هذه المناسبة ، لأنه مرتفع عن مستوى الحاجة ... وذاك الثانى أسدى لنفسى شراً كثيراً ، وأقل ما أسديت إليه أننى كنت ألتمس المعاذير لقبح خلقه وهوان شأنه على معاشريه ، وكنت أغضى عن ذلك رحمة له إذ لم يخلق نفسه ، وأنا أرحم القبح ولكن لا أهواه كابن المعتز . ومع ذلك فقد كان حمقه معى أعظم مما مع غيرى ...

وتسأله لماذا يا فلان ؟ فيخرس لسانه ويجيب وجهه بتعليل الطبع السائر على نهجه ... ولقد أجاب لسانه مرة حين قلت له : إننى لا أطيق الشر فهلم معى إلى الخير ... فقال : لن تستطيع أن تغير ما فى القلوب بالأقوال ...

فكانت هذه هى حكمته الوحيدة الخالدة ...

هذا النوع من الناس هو الذى قد يحملك على جحود الخير والإيمان بالشر ، إذ يحيل قلبك من هدوئه واطمئنانه إلى الثورة والتشكك واعتناق الشر وتحطيم المثل العليا ، أو أنه على الأقل يحملك تعتقد أن الشر عريق فى الوجود عراقة الخير ، كأنهما مخلوقان لإلهين مختلفين يحتربان ويصطرعان على تسيير دفة الدنيا ، يديرها أحدهما إلى الأبيض ويديرها الآخر إلى الأسود . فيجب أن تطيع الثانى كالأول ويتسع قلبك له وتطاوع شيطانك فيه

# تفسير الأحـــــلام

للعلامة سجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها فى فينا

للأستاذ محمد جمال الدين حسن

**بعض الفروض التمهيدية وطريقة التفسير :**

كان العلماء إلى ما قبل ظهور علم التحليل النفسى يفسرون الحلم على أنه ظاهرة جسمية تنشأ عن اضطراب فى المعدة أو ما شابه ذلك من مؤثرات عضوية . أما نحن فنفترض أن الحلم ظاهرة عقلية لا جسمية . وقد لا يكون لهذا الفرض ما يبرره ، ولكن ليس هناك ما يمنعه أيضاً ، فالحلم إذا كان ظاهرة جسمية لا يهمنا فى شىء ولكنه يكون ذا فائدة لنا إذا كان ظاهرة عقلية . وعلى هذا فنسلم بصحة هذا الفرض وسنرى من النتائج التى سنصل إليها إن كنا على خطأ أم على صواب . والآن ما هو الغرض من هذا البحث وإلى أى غاية نوجه هذه الجهود ؟ إن غرضنا هو الغرض من كل بحث علمى ، أى الوصول إلى دراسة واضحة للظواهر الطبيعية وتكوين علاقة بينها وإخضاعها لسلطتنا على قدر الأمكان .

وعلى هذا فسنواصل بحثنا على فرض أن الأحلام ظاهرة عقلية ، ومعنى هذا أنها خيالات رآها الحالم أو كلمات تفوه بها أثناء النوم ولكنها لا تدلنا على شىء ولا نستطيع أن نفهم لها معنى .

لنفرض أنى تفوهت أمامكم بكلام غير مفهوم فما ذا أنتم صانعون ؟ ألا تسألوننى الأيضاح عما أريد ؟ أظن هذا هو الحل المعقول . فلم إذاً لانتبع نفس الطريقة فنسأل الحالم عن معنى حلمه ؟ تذكرون أننا سبق أن وجدنا أنفسنا فى مثل هذا الوضع[1] عندما كنا نبحث فى زلات اللسان ، وقد بينت لكم أنه يجب

(١) يشير فرويد إلى المحاضرات التى ألقاها عن «سيكلوجية الأخطاء» والتى بين فيها أن زلات القلم واللسان ليست فى الواقع هفوات تصدر عن الأنسان لا معنى لها وإنما هى حالات عقلية تنشأ عن عوامل نفسية مختلفة يمكن الوصول إليها بالتحليل النفسانى .

---

بحيث لا يحدك ضمير ولا وجدان ساعة بُحران الشر واحتدام الضغينة فلكل وقت ، فكن للشر بقلبك كما تكون للخير بقلبك!

هكذا يسمم هذا النوع من الناس نفسك بشِرّة نفسه ، كما يسمم الثعبان دمك بلسعة نابه ومسموم لعابه ، فلا تمالك إلا أن تقىء وتهذى وتتلوى وتأتى بالحماقات والشناعات ...

إنه يجذبك من عالم أحلامك السعيدة العليا إلى الحضيض الذى تتمرغ فيه وتتقلب عليه مع بنات الطين والظلام ...

إنه بوق الشيطان ينفخ فيه على أفاعى الشر والضغينة فى الحجرات المظلمة من نفسك كلما أوشكت أن تموت ؛ لتحيا دائماً معك لأنها أعظم جنوده التى أرصدها لحرب ذلك الطفل العبقرى الوديع : الحب !

وإن هذه الأفاعى إذا صحت ونشطت فلن تأكل فى الحقيقة إلا فلذات قلبك ولن تشرب إلا دمك ... ولقد جعلت من الذين أوسعوا لها من صدورهم مسموى الإدراك مطموسى الإحساس بجمال الوجود ولذة الحب والرحمة .

إنها كريهة الدبيب مغتالة لأفضل ما فى النفس ، مثيرة للدم الأسود المحموم .

إن الشر يجب ألا يكون إلا لدفع الشر الذى لا يُدفَع بالخير . فيجب على القديس الحليم أن يكون عنيفاً شديداً مع الذين لا يرون المثل الأعلى إلا فى الشر والعنف ... أما أن يتخذ ذخيرة وغذاء تجتره النفس انسياقاً مع الغرائز القديمة ، واستجابة للوحش الذى فينا ، وتنمية لنوازعه وتنقيباً عن سفالاته المطمورة فذلك هو الهدم لدعائم الحضارة والارتداد والانتكاس إلى الوحشية التى تطمس الآفاق التى رآها الإنسانية على ضوء السكينة النفسية والحب المتبادل .

فلْيُعِن اللهُ محبى الخير على الحرب الدائرة بينهم وبين هذه النفوس العريقة فى عالم الأذى ...

وليحفظ رقة الخير وضعفه بين الشرور كما يحفظ حرير الورد من جوار الأشواك المسنونة المُشْرعة التى تهدده دائماً بالتمزق وتؤذى من يريد أن ينعم به نعمة خالصة .

عبد المنعم خلاف

علينا في هذه الحالة أن نسأل صاحب الزلة عما يقصده أو ما كان يفكر فيه حتى نستطيع أن نصل إلى الدوافع الخفية التي دفعته إلى ارتكاب هذه الزلة ، كما بينت لكم أن التحليل النفسي مبني كله على هذه الطريقة ، أي ترك الشخص الذي نحلله يجيب بنفسه على مشاكله . وعلى هذا فالحالم يجب عليه أن يفسر لنا حلمه بنفسه

ولكن الأمر ليس هنا بالسهولة التي نظن ، ففي حالة الزلات كانت هذه الطريقة تنجح في كثير من الأحيان ، ولكن في أحيان أخرى كان الشخص المستجوب يرفض الإجابة عن شيء بل كان يرفض الجواب الذي نقترحه عليه من استنتاجاتنا في غيظ وحنق . أما في حالة الأحلام فليس هناك أمثلة من النوع الأول ، فالحالم دائماً يقول إنه لا يعلم شيئاً عن حلمه ، وهو لا يستطيع أن يرفض تفسيرنا لأنه ليس لدينا ما نقدمه له . فما دام لا يعلم شيئاً ونحن لا نعلم شيئاً ومن المؤكد أن شخصاً ثالثاً لا يعلم شيئاً كذلك ، فلا مطمع لنا إذاً في الوصول إلى حل موفق . أعلينا عندئذ أن نقلع عن هذه المحاولة ونقر بعجزنا ؟ إذا كان منكم من رغب في ذلك فليفعل . أما إذا كنتم راغبين في مواصلة البحث فبي استطاعتكم أن تتبعوني فسأريكم أن الشخص الحالم في الواقع يعلم معنى حلمه ولكنه لا يدري أنه يعلم وعلى هذا يظن أنه لا يعلم .

أظن أنه من المحتمل أن تلفتوا نظري عند هذه النقطة إلى أنني قد عدت إلى تقديم فرض آخر ولما يمض على تقديمي الفرض الأول وقت طويل ، وأنني بعملي هذا قد بعدت عن جادة الصواب ودقة البحث ولكني أوجه نظركم إلى أني لم أجيء هنا لأتظاهر أمامكم بالشعوذة فأقدم إليكم حقائق سهلة مستساغة بينما أخفي عنكم الصعوبات والشكوك حتى تطمئن نفوسكم إلى أنكم قد تعلمتم شيئاً جديداً . وعلى هذا أقول لكم إني فعلا قد فرضت فرضين متداخلين فمن يجد منكم في هذا مشقة أو عدم دقة فما عليه إلا أن يتركنا في خير . ولكني أوجه نظركم إلى أن هذين الفرضين ليسا على درجة واحدة من الأهمية . فأحدهما وهو القائل بأن الأحلام ظاهرة عقلية هو الفرض الذي نأمل في إثباته عن طريق النتائج التي سنصل إليها . أما الفرض الآخر فقد سبق إثباته في مجال مختلف وأنا في الواقع لم أعمل أكثر من أن سمحت لنفسي باستعارته في بحثنا هذا . وهذا المجال المختلف الذي أقصده هو

التنويم المغناطيسي فقد شاهدت برنهيم (Bernheim) عام ١٨٨٩ في نانسي وهو يقوم بتجاربه على رجل من المدينة نومه تنويماً مغناطيسياً ، وعند ما استيقظ الرجل بدا لأول وهلة أنه لا يدري شيئاً عما قام به أثناء النوم وقد ادعى أنه لا يستطيع أن يتذكر شيئاً ، غير أن برنهيم ألح عليه في السؤال مؤكداً له أنه يعلم كل شيء وأنه لو أجهد نفسه قليلا لاستطاع أن يتذكر كل ما حدث له . وما كان أشد دهشتنا عند ما بدأ الرجل فعلا يتذكر شيئاً فشيئاً بعض ما حدث له أثناء النوم ، وكلما تذكر شيئاً اشتدت ذاكرته فتذكر أشياء أخرى حتى استطاع في النهاية أن يتذكر بالضبط كل ما قام به وهو نائم . ألا يصح لنا إذاً أن نستنتج من هذا أن هذه الذكريات كانت في عقله من مبدأ الأمر ولكنها كانت فقط صعبة المنال ؛ فهو لم يكن يدري أنه يعلم بها ولكنه كان يعتقد أنه يجهلها . وهو في هذه الحالة يشبه الشخص الحالم تمام الشبه . والواقع أن هناك علاقة واضحة بين التنويم المغناطيسي والنوم الذي هو شرط أساسي للحلم . فالتنويم المغناطيسي يطلق عليه فعلا النوم الصناعي ، فنحن نقول للشخص الذي نريد أن ننومه مغناطيسياً : « نم ! » وما توعز به إليه وهو نائم يمكن مقارنته بالأحلام في حالة النوم الطبيعي . فالحالة العقلية واحدة في الاثنين ، فكما أننا في النوم الطبيعي نقطع كل صلة تربطنا بالعالم الخارجي ، فكذلك نفعل في حالة التنويم المغناطيسي فيما عدا الشخص الذي يقوم بتنويمنا والذي نبقى معلقين به .

أظن من الممكن الآن أن نعود إلى عملنا ونحن أكثر ثقة من ذي قبل . رأينا إذاً أن من المحتمل جداً أن الحالم يعلم شيئاً عن حلمه ، ولكن المسألة هي كيف يمكننا أن نسهل له الوقوف على هذه المعلومات وإعطائها إيانا ؟ الطريقة التي سنتبعها هي أن نسأل الحالم عن معنى حلمه وكيف حلم هذا الحلم ، والكلمات التي يجيب بها يجب أن تؤخذ على أنها الأيضاح المطلوب بغض النظر عن كونه يظن أنه يعلم أو لا يعلم شيئاً عن الحلم .

أظن هذه الطريقة بسيطة جداً ، ولكني مع هذا أخشى أن تثير فيكم معارضة شديدة فتصيحون : « فرض ثالث ! وهو أبعد احتمالا من سابقيه ! أتعني أننا إذا سألنا الحالم عن الأفكار التي تتوارد على خاطره فأجابنا على الفور فما علينا إلا أن نأخذ إجابته

هذه على أنها الايضاح المطلوب ؟ ولكن من المؤكد أنه قد لا يجد ما يجيب به على الأطلاق أو قد تتوارد على خاطره أفكار يعلم بها الله . إنا لا نستطيع أن نتخيل على أي أساس بنيت هذا الأمل ، فهو في الحقيقة يتطلب اعتماداً أكثر من اللازم على العناية الآلهية في الوقت الذي نحن فيه أحوج ما نكون إلى نفاذ البصيرة والمقدرة على النقد . وفضلا عن ذلك فالحلم لا يتكون من عنصر واحد كزلة اللسان ، ولكنه يتكون من عناصر كثيرة ؛ فأذا كان الأمر كذلك ، فعلى أيها يمكننا الاعتماد ؟ » .

أظن أنكم على حق في جميع النقط الغير أساسية . فالحلم حقاً يختلف عن زلة اللسان من ناحية تركيبه من عناصر كثيرة كما أنه يختلف عنها من نواح أخرى كذلك ، وهذه الاختلافات كلها يجب أن تراعى عند التحليل . ولذا فأنى أقترح عليكم أن نقسم الحلم إلى عناصره المختلفة وأن نختبر كل عنصر على حدة ، وبذا نكون قد أعدنا التشابه الذي بينه وبين زلة اللسان . وأنتم كذلك على حق عند ما تقولون إن الحالم عند ما يستجوب عن عنصر من عناصر حلمه قد يجيب بأنه لا يجد لديه أفكاراً تتعلق به ، وهناك حالات نكتفي فيها بهذا الرد قد أدلكم عليها فيما بعد . أما في أغلب الأحيان فيجب علينا أن نناقضه وأن نلح عليه في الجواب مؤكدين له أن لابد من وجود فكرة ما لديه وسنرى أننا كنا على صواب ، فسيبدأ بقوله : « إن هذا يذكرني بشيء حدث لي منذ وقت قريب ! » أو « إن هذا حدث لي بالأمس ! » وسنرى من هذا أن الأحلام ترتبط ارتباطاً وثيقاً بآثار اليوم السابق . وأخيراً قد يستطيع الحالم إذا اتخذ الحلم نقطة ابتداء أن يصل إلى تذكر حوادث من الماضي البعيد .

أما من حيث النتيجة العامة فأنتم على خطأ . فإذا كنتم تحسبون أن اعتبار الأفكار الأولى التي ترد على خاطر الحالم كجواب عما نسأل عنه مسألة اختيارية بحتة ، وإذا كنتم تحسبون أن هذه الأفكار قد تكون هوائية لا علاقة لها بما نحن في صدد البحث عنه ، وأنها لا تدل إلا على ثقتي العمياء في العناية الألهية إذا توقعت شيئاً آخر ... إذا كنتم تحسبون هذا فأنتم على خطأ مبين . وهذا الخطأ راجع إلى الاعتقاد الراسخ فيكم بأن القوى النفسية حرة غير مقيدة في اختيارها وهذا اعتقاد غير علمي ، لذا يجب على أن أطلب منكم أن تنظروا بعين الاحترام إلى هذه الحقيقة الواقعة : وهي أن فكرة واحدة فقط ولا شيء غيرها هي التي تخطر على بال الحالم عند ما يستجوب عن حلمه .

ولما كانت هذه النقطة على درجة كبيرة من الأهمية ، لذا أسألكم أن تلتفتوا إليها التفاتاً خاصاً . فعند ما أسأل شخصاً عما يخطر على باله بالنسبة لعنصر ما من عناصر حلمه فأن ما أطلبه منه هو أن يستسلم لعملية الترابط المطلق « Frec association » وهذه العملية تحتاج إلى حالة من الانتباه تختلف اختلافاً بيناً عن حالة التروي بل هي في الواقع تموقها . وبعض الناس يتهيأ لهذه الحالة في سهولة ويسر ، والبعض الآخر يلاقي في ذلك عناء كبيراً وعدم استعداد غير معقول . وقد يحسب المرء أن عملية الترابط المطلق التي تنشأ عند ما نطلب من شخص ما أن يفكر في اسم خاص أو عدد ما تكون أكثر حرية ويكون لدى الشخصين فرصة أكبر للاختيار ؛ ولكن الواقع أنه يمكن أن نثبت أنه في كل حالة توجد عوامل عقلية خفية هي التي تحدد نوعي الترابط ، وهذه العوامل تكون مجهولة لدينا في اللحظة التي تبدأ فيها عملها ، ولتوضيح ذلك أضرب لكم المثل الآتي : —

حدث في يوم من الأيام بينما كنت أعالج شاباً أن ذكرت له شيئا عن هذا الموضوع وأكدت له أنه على الرغم من الحرية الظاهرة في الاختيار في مثل هذه الحالات فأننا في الحقيقة لا نستطيع أن نفكر في أي اسم لا يمكن أن نثبت أن الظروف المحيطة بالشخص الذي نقوم معه بالتجربة ، وسجيته والحالة التي كان عليها هي التي تحدد هذا الاسم . ولما كان بطبعه ميالا إلى الشك فقد عرضت عليه أن يقوم بالتجربة في التو واللحظة . وقد سهلت له الأمر بأن طلبت منه أن يفكر في اسم امرأة من صاحباته لما كنت أعلم عن علاقاته المتعددة بكثير من الفتيات والنساء . ولكنه لدهشتي ، أو لدهشته على الأصح ، لم يغمرني على الفور بسيل من الأسماء ، وإنما ظل ساكتاً مدة ثم اعترف بأن الاسم الوحيد الذي خطر على باله في هذه المدة هو ألبين Albine ولكن الأغرب من ذلك أني عند ما سألته ما علاقتك بهذا الاسم وكم من النساء تعرفت به ؟ أخبرني أنه لا يعرف أحداً بهذا الاسم وأن لا أفكار لديه يربطها به . وقد يظن المرء أن التجربة قد فشلت ،

ولكن لا ، فقد تم التحليل ولسنا في حاجة إلى أفكار أخرى . فالشاب نفسه كان أشقر بشكل غريب ، فكنت في حديثي معه أثناء التحليل أداعبه بقولي له albino ( وهو اسم الرجل الأبيض الوجه والشعر ) وعلاوة على ذلك فقد كنا في هذا الوقت منهمكين في تحليل المنصر النسوي في طبيعته . وعلى هذا فقد كان هو نفسه هذه « المرأة » التي شغلته في هذا الوقت أكثر من أي امرأة أخرى .

وكذلك الحال في الألحان التي يترنم بها الأنسان في أوقات فراغه فقد نستطيع إذا حللناها أن نصل إلى مصدرها ومعرفة الأفكار التي كانت تشغل عقلنا في هذا الوقت من غير أن نحس بها

فإذا كانت الأفكار الحرة التوارد مقيدة هذا التقييد فإننا نكون على حق إذاً عندما نستنتج أن الأفكار التي تتوارد نتيجة لفكرة محركة ( Stimiluo idea ) واحدة تكون كذلك مقيدة غير مطلقة . وقد أثبتت التجارب كحقيقة واقعة أنها لا تكون متعلقة بالفكرة ، المحركة فحسب ، بل إنها كذلك تعتمد على ألوان من التفكير وضروب من المؤثرات القوية ( أو العقد كما نسميها ) لا نعلم عنها شيئاً في ذلك الوقت ، أو بعبارة أخرى تعتمد على نشاط لا شعوري .

وقد اتخذ الترابط الذي من هذا النوع أساساً لتجارب عديدة أفادتنا كثيراً ولعبت دوراً ملحوظاً في تاريخ حركة التحليل النفسي . فمدرسة وندت « Wundt » هي التي ابتكرت طريقة « تجربة الترابط » ( association Éoeperimeut ) وفيها يطلب من الشخص الذي تجرى عليه التجربة أن يجيب على كلمة — محركة ( Stimjluo — word ) بأسرع ما يمكنه من كلمات رد الفعل ( Reaction — Mords ) ، وتلاحظ النقط الآتية أثناء التجربة: وهي الفترة التي تمضي بين النطق بالكلمة — المحركة وكلمات رد الفعل ، وطبيعة هذه الكلمات والأخطاء التي ترتكب عند إعادة التجربة إذا أمكن . أما مدرسة زوريخ تحت رئاسة بلواير وجنج ( Bleuler and jung ) فقد توصلت إلى تفسير رد الفعل في تجربة الترابط بأن ثالث الشخص الذي تجرى عليه التجربة أن يلقي قليلاً من الضوء على الأفكار التي تبدو ذات أهمية وذلك بوساطة سلسلة أخرى من الأفكار المترابطة . وقد اتضح من هذه الطريقة أن هذه الردود الغير مألوفة لها اتصال وثيق بالعقد التي في نفس الشخص . وقد كان هذا الاكتشاف هو الخيط الأول الذي ربط بين علم النفس التجريبي وبين التحليل النفساني

أظن أنكم بعد سماع هذا الشرح ستقولون : « إننا نسلم معك أن هذه الأفكار المترابطة خاضعة لقيود معينة وليست محض اختيار كما كنا نظن من قبل ، كما أننا نعترف بهذا أيضاً في حالة الأحلام ولكن ليس هذا ما يعنينا . إنك تقرر أن كل ترابط بعنصر من الحلم له دافع عقلي خفي لا نعلم عنه شيئاً ولكنا لا نستطيع أن نرى أي برهان على ذلك ، حقيقة إننا نتوقع أن تكون الأفكار التي تترابط بعنصر من الحلم ذات صلة وثيقة بالعقد التي في نفس الحالم ولكن ما هي الفائدة ؟ إن هذا لن يساعدنا البتة في تفهم معنى الحلم ولكنه يوصلنا فقط إلى بعض المعرفة عن هذه الأشياء المسماة بالعقد ، كما في حالة تجربة الترابط ، ولكن أي علاقة بين هذه العقد وبين الأحلام ؟ » .

إنكم على حق ولكنكم تغفلون نقطة هامة وهي نفس النقطة التي منعتني من اتخاذ « تجربة الترابط » نقطة ابتداء لهذا البحث . فنحن في حالة التجربة أحرار في اختيار الكلمة — المحركة ، وهي الشيء الوحيد الذي يتوقف عليه رد الفعل ، أما كلمات رد الفعل نفسها فتعمل كوسيط بين الكلمة المحركة والعقدة التي في نفس الشخص الذي تجرى عليه التجربة . أما في حالة الحلم فالكلمة المحركة تستبدل بشيء مشتق من حالة الحالم العقلية ، وهذا الشيء ينبع من مناطق مجهولة لديه ، وعلى هذا فمن المحتمل جداً أن يكون هو نفسه « إحدى مشتقات العقدة » فليس من الوهم إذاً أن ندعي أن الأفكار التي تترابط مع عناصر الحلم لم تحددها عقدة أخرى غير العقدة التي كونت هذا العنصر الخاص من الحلم وأنها في نهاية الأمر ستوصلنا إلى اكتشاف هذه العقدة .

دعوني أضرب لكم مثلا آخر تتبينون منه أن الحقائق كثيراً ما تحقق صدق نظريتنا . وهذا المثل هو نسيان الأسماء المعروفة لدينا ومحاولة تذكرها ، فالذي يحدث في هذه الحالة يشبه تمام الشبه ما يحدث في حالة تحليل الأحلام . فلنفرض مثلا أني نسيت اسماً ما ولكني أشعر في قرارة نفسي أني واثق من معرفته فماذا أفعل ؟ لا شك أني سأحاول أن أبذل كل جهد مستطاع في محاولة تذكره ، ولكن التجارب علمتني أن كثرة التفكير لا تجدي وأن في استطاعتي دائماً أن أفكر في اسم آخر أو أسماء عديدة أخرى غير الإسم الذي نسيته فإذا حدث أن خطر على بالي أحد

الأدب في سير أعلامه :

# ٧ – تولستوى

[ قمة من القمم الشوامخ في أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه ]

للأستاذ محمود الخفيف

## بين الجد واللهو

ودع تولستوى قازان وفي نفسه أنه ودع اللهو والعبث فما إليهما من عودة ، وبلغ ياسنايا تلك الضيعة المحبوبة وقد زاده محبة لها أنها غدت من نصيبه ، وإنه ليشعر أنه أصبح مسؤولا عنها وعمن يعيش فيها من الناس ؛ ولقد زاد هذا الشعور لا ريب في نفسه العزم أن يطلق حياة اللعب والعبث ...

ثم إن فكرة تسيطر على لبه اليوم وتملأ جوانب نفسه ، ومؤداها أن يعمل في جد على إصلاح حال الفلاحين في الضيعة وما جاورها ، فما يليق به أن يذرهم فيما هم فيه من جهل وبؤس .

وتستمع إليه العمة تاتيانا دهشة مبتسمة فما يخرج الأمر عندها عن أن يكون نزعة جديدة من نزعات الشباب ؛ ولكنه يعود كل يوم إلى هذا الحديث وإنه لأقوى عزماً وأكثر جداً ؛ وإن تفكيره في هذا الأمر ليصرفه عن القراءة وعن الموسيقى التي أحبها حباً عميقاً خبرته عمته ؛ وإنها لتجلس إلى البيان تحاول أن تمتعه بلحن مما يحب فما يروعها إلا انصرافه عنها وعن لحنها ليقبل على حديث إصلاح الفلاحين ...

وتعجب عمته ويزداد عجبها إذ تراه يتخذ لنفسه زياً خاصاً به يلتزم أن يلبسه في كل وقت وفي كل مكان لأنه يظهره في مظهر الفيلسوف ؛ ولكن الفتى لا يلبث حتى يخلع هذا الرداء ويلقى به لأن أحد الزائرين لم يتمالك نفسه ذات مرة من الضحك من مظهره ، وكره الفتى أن يكون موضع استهزاء ، وهو الذي طالما تأنق وتنبل بالثياب ...

---

هذه الأسماء طوعاً من تلقاء ذاته فهنا فقط يكون الشبه واضحاً بين هذه الحالة وحالة تحليل الأحلام . فعنصر الحلم كذلك ليس هو ما أبحث عنه وإنما هو عوض عن شيء آخر ، وهذا الشيء الآخر هو ما لا أعرفه وما أسعى إلى اكتشافه عن طريق تحليل الحلم .

ما ذا أفعل إذاً لأتذكر الاسم الذي نسيته ؟ إن ما يحدث هو أني أوجه التفاتي إلى هذا الاسم الذي خطر على بالي عوضاً عن الإسم المنسي ثم أحاول أن أدع أسماء أخرى تتوارد على خاطري في ترابط مطلق ، وبهذه الطريقة أستطيع أن أصل في النهاية إلى الاسم الذي نسيته . ومن المشاهد في مثل هذه الحالات أني عندما أتذكر هذا الإسم ألاحظ دائماً أن هناك علاقة بينه وبين الأسماء التي تركتها تخطر على بالي عوضاً عنه . فقد حدث لي مثلا أن حاولت في يوم ما أن أتذكر اسم القطر الصغير الذي يقع على ضفاف الريفييرا والذي عاصمته « مونتكارلو » ولكني لم أستطع على الرغم من تأكدي من معرفته . فأخذت أفكر في كل من أعرف في هذا القطر وما كان لي فيه من علاقات ولكن بلاجدوى . وأخيراً كففت عن التفكير وتركت أسماء أخرى تتوارد على خاطري طواعية واختياراً . وقد توالت هذه الأسماء بسرعة وهي مونتكارلو نفسها ثم بيدمونت ، ومونتفيدو ، ومونتنجرو ، وكوليكو . وقد لاحظت أن ثلاثة من هذه الأسماء البديلة تحتوي على نفس المقطع «مون» وفي الحال تذكرت الاسم الذي أبحث عنه وهو « موناكو » ومن هذا ترون أن هذه الأسماء البديلة قد نشأت فعلا عن الاسم المنسي ، فالثلاثة الأسماء الأولى تحتوي على المقطع الأول « مون » والإسم الرابع يحتوي على المقطع الأخير « كو » أما السبب في هذا النسيان المؤقت فهو أن « موناكو » هي الاسم لأبطالي « لمونيخ » وقد كانت لي ذكريات في هذه المدينة هي التي وقفت حائلا بيني وبين تذكر الاسم الذي أريد .

وعلى هذا فما هو ممكن في حالة نسيان الأسماء لابد أن يكون ممكناً كذلك في حالة تفسير الأحلام فإذا ابتدأنا من العناصر البديلة فأنه لابد أن نصل في النهاية إلى غرضنا الحقيقي عن طريق سلسلة من الأفكار المترابطة ، كما أنه في استطاعتنا ( كما هو الحال في نسيان الأسماء) أن نفرض أن هذه الأفكار التي نشأت عن عنصر الحلم لم يحددها هذا العنصر فحسب بل حددتها أيضاً الدوافع اللاشعورية التي أنتجت الحلم . فإن أمكن هذا فإننا نكون بذلك قد قطعنا شوطاً بعيداً في تبرير طريقتنا في التفسير .

المترجم
محمد جمال الدين حسن

( يتبع )

وما الذى ألقى فى قلب الفتى هـذه الرغبة القوية فى إصلاح حال الفلاحين ؟ أهى مجرد نزعة من نزعات الشباب حقاً ؟ أم هى خيال ألقاه فى نفسه قراءة قصة حديثة تسمى « القرية » ألفها قصصى يدعى جريجوروفتش وصور فيها حياة الفلاحين ، صورة مؤلمة تبعث فى النفوس شعور الرثاء لحالهم ؟ أم أن مرد ذلك إلى عاطفة عرف بها منذ طفولته وهى أنه يحب أن يرى الناس جميعاً حوله سعداء ؟ الحق أن الفتى ما كان ليستطيع أن يرى مظاهر البؤس من حوله ثم لا يتحرك لها قلبه الإنسانى الرحيم ، وكيف كان يطيق أن يسمع فيما سمع أن امرأة قضت نحبها من الجهد ، وأن المرض يفتك بالناس فلا يستطيعون له دفعاً ؛ وكيف كان يطيق أن يرى بعض الفلاحين يخرون على قدميه سجداً يسألونه القوت ؛ لقد كان ذلك يؤله أشد الألم أو كما يقول « إن ذلك كان يؤلمنى كما تؤلمنى ذكرى جريمة ارتكبت ولم يكفر عنها » .

على أنه يعجب أشد العجب من إعراض الفلاحين عن إصلاحاته ؛ ويألم إذ يرى فى وجوههم الشك والإنكار والعناد ، وإذ يسمع أنهم يصفون مابنى لهم من أكواخ جديدة بأنها سجون وأنهم يرمون بالمدارس التى افتتحها لأبنائهم والتى كان يعلمهم فيها بنفسه أحياناً ، فعندهم أن هذه المدارس تحرمهم من معاونة أبنائهم إياهم فى أعمال الزراعة ؛ ويقلب تولستوى كفيه حائراً من أمرهم ، وفى نفسه شعور الغضب ومرارة الخيبة ...

ولا يلبث اليأس أن يصرفه عما شرع فيه ، فينصرف عنه مكرهاً لأنه كان شديد التعلق به ، يدلنا على ذلك ما جاء فى قصة كتبها بعد سنوات قليلة ، هى القصة المسماة « صباح أحد الملوك » فقد صور فيها أميراً يحلم بأن يعلم الفلاحين ويسعدهم ويوفر لهم أقواتهم ، ويصلح رذائلهم التى تنجم من الجهل والتعلق بالخرافات ويجعلهم يحبون الهدى والحق ؛ وفى هذه القصة يترك الأمير الجامعة ليعود إلى القرية ويكتب إلى عمته برغبته فى إصلاح حال الفلاحين فى ضياعه قائلا بعـد أن يصف مبلغ بؤسهم : « أليس واجبى الواضح المقدس أن أعنى بحال هذه الأنفس السبعمائة التى سوف يسألنى الله عنها حساباً ؛ ثم أليس من الإجرام أن أجرى وراء أنماط من اللهو والطمع بينا أدعهم لمشايخ أو رؤساء عليهم خشن غلاظ ؟ ولم أبحث فى نواحى أخرى عما عسى أن يظهرنى بمظهر الرجل النافع الخير فى حين أن أمامى هذا الواجب الوضىء النبيل الذى أعرفه عن وثوق وخبرة ؟ » .

ولم يكن يدور بخلده أن يجد من الفلاحين هذا الجحود ، فما أشد ما كره ما كان فيه من جـد وما أسرع ما أقبل على لهوه وعبثه ، وقد نمـا إليه أن أخاه سيرجى يعيش مع غجرية مغنية عيشة مطلقة من كل قيد فى ضيعته ؛ فحبب إليه عبث أخيه أن يعود هو كذلك إلى عبثه ، فأقبل على المجون واللعب وأسرف فى ذلك إسرافاً شديداً وبخاصة فى مخالطة النساء مخالطة لا تأثم منها ولا تورع فيها حتى لقد أحدثت أثرها فى بدنه القوى أو كادت ، وحتى لقد عاد الفتى إلى سالف ندمه فانه يكتب فى يومياته فى منتصف شهر يونيو سنة ١٨٤٧ يقول « ما أصعب على من يقع تحت تأثير الشر أن يزيد ما تنطوى عليه نفسه من خير ... هل أبلغ بعد الأمد الذى أجدنى فيه مستقلا عن المؤثرات الخارجية ؟ إن ذلك معناه فى رأيى الوصول إلى كمال عظيم ، حيث أنه فى حال الرجل الذى يتخلص من العوامل الخارجية تسيطر الروح على الجانب المادى منه بالضرورة فيبلغ ما يريد ؛ وسأضع اليوم لنفسى قاعدة جديدة وهى أن الاجتماع بالنساء إن هو إلا شر من شرور المجتمع لا بد منه ، وعلى المرء أن يتجنبه ما استطاع؛ وممن نتعلم فى الواقع الشهوة والخنوثة والتفاهية فى كل شىء إن لم نتعلمه من النساء ؟ وعلى من تقع تبعة فقداننا تلك المشاعر الغريزية فينا كالشجاعة والناعة والبأس والتصبر والعدالة إن لم تقع على المرأة ؟ إن المرأة أشد استجابة من الرجل للمؤثرات ، وكانت فى عصور الفضيلة خيراً منا ، ولـكنها الآن فى عصر الفساد والرذيلة قد باتت أسوأ منا وأرذل » .

وتلمح إليه العمة تانيانا ذات يوم بقولها « إنه لا شىء يكون الشاب خيراً مما يكونه ارتباطه بفتاة ذات خلق » ؛ ولـكن توثب حيويته وعرامة فتوته وحبه الاستقلال ، كل أولئك يميل به عن أن يركن إلى ما تقول ...

وسيكبر هذا الفتى وقد ذاق حلو الحياة ومرها فيكون له من ذلك مادة لفنه وسيفيد من لهوه هذا كما يفيد من جده ، فما ينسى شيئاً ممـا تطالعه به الحياة ، وسوف نرى نظرته هذه إلى المرأة سنة ١٨٤٧ وهو فى التاسعة عشرة ، تتجدد فى قصة يكتبها سنة ١٨٨٩ وهو فى الحادية والستين ، وهى قصة كروتزرسناتا .

لم يعد للفتى أمل فى إصلاح فلاحيه وأحس أنه يقضى أيامه

فى ياسنايا عبثاً فصمم على الرحيل منها ، وفى شهر أكتوبر سنة ١٨٤٨ سافر إلى موسكو حيث قضى ثلاثة أشهر أو أربعة مطلق العنان لا يلويه عن العبث واللهو شىء ، وله من فراغه وشبابه وماله ما يزيد جوحه ويمد فى حبال غوايته ؛ ثم سافر الفتى إلى بطرسبرج فدخل جامعتها ليدرس القانون ثانية وليحصل على درجة علمية تهيئه للالتحاق بوظيفة من الوظائف الدنية .

***

وأقبل الفتى على الدراسة فى جد وعزم كأن لم يعرف اللعب يوماً ؛ وكتب إلى أخيه فى فبراير سنة ١٨٤٩ يخبره بمـا هو فيه من جد ، وينبئه بأنه سيبقى فى بطرسبرج إلى الأبد ؛ ويصف له فى كتابه مبلغ ما للحياة فى هذه المدينة من أثر فى نفسه ، فـكل شىء يبعث على الجد والدأب ، وكل امرئ يسعى سعيه حتى لن يجد المرء من يصحبه إلى حياة عابثة ، ولن يستطيع المرء أن يحيا هذه الحياة وحده إلى أن يقول لأخيه « أعلم أنك لن تصدق أنى غيرت مابنفسى وأنك ستقول إنها المرة العشرون ولـكن فى غير جدوى ؛ كلا ... لقد تغيرت الآن ... وفوق ذلك فانى اليوم بداخلنى إحســاس بأن المرء لا يستطيع أن يعيش بالنظريات والتفلسف ، ولـكنه ينبغى أن يحيا حياة واقعية ، أعنى أنه يجب أن يسلك سلوكا عملياً ... وهذه خطوة واسعة نحو التقدم » .

وفى شهر أبريل يجتاز ليو امتحاناً فى القانون الدنى والقانون الجنائى بتفوق ملحوظ ؛ على أن ذلك لم يكن فى الواقع ثمرة جهد متصل وإنما كان ثمرة أسبوعين استوعب فيهما ما استطاع أن يستوعبه من هاتين المادتين ...

وفى شهر مايو يكتب لأخيه فإذا به يقول فى كتابه « أى سيربوشا ... أتوقع أنك سوف تقول إنى أكثر من عرفت ضعف عزيمة ، ولـكى أكون أميناً ، ينبغى أن أقول إن الله يعلم ماذا كنت أفعل هنا !... لقد جئت بطرسبرج بغير سبب معين ، ولم أعمل هنا عملا ذا عائدة ، وقصاراى أنى أنفقت مالا كثيراً حتى لقد تورطت فى الدين ؛ يا للغباء ! وأى غباء ؟ لن تستطيع أن تصدق كيف يؤلمنى ذلك ، وبخاصة تلك الديون التى يجب أن أؤديها بأسرع ما فى وسعى ، وذلك لأننى إن لم أفعل فلست أفقد المال فحسب ، بل أفقد معه شرف سمعتى . أعلم أنك ستضج بالشكوى ، ولـكن ماذا عسى أن أصنع ؟ إن الإنسان يقترف مثل هذه الحماقة مرة فى مدى عمره ... وإنى لأركن إلى عطفك إذ أرجو منك أن تتدبر فى إخراجى من هذا الوضع الـكريه حيث أجدنى مفلساً يحيط بى الدين من كل جانب » .

ويعتزم الفتى أن يلتحق بالجيش فى فرقة الفرسان متطوعاً فى الحرب ، وأن يترك جامعة بطرسبرج دون أن يتم دراسته فيها كما ترك جامعة قازان من قبل وكانت الحرب التى يريد أن يتطوع فيها هى تلك الحرب الظالمة التى قذفت بها النمسا الأحرار المجاهدين فى المجر ، أولئك البواسل الذين رغبوا فى الاستقلال عنها وردوا جيشها وقد عصفت العواصف بأنحاء الامبراطورية حتى استعانت بالجيش الروسى فجاء لمعونتها خمسون ومائتى ألف من هذا الجيش، وكانت روسيا تريد أن تطفىء نار الثورة فى المجر حتى لا تمتد إلى بولندة وكانت تحت حكمها فتخلع عنها نير الاحتلال ؛ ومن عجب أن يتجه تولستوى إلى التطوع فى حرب ظالمة كهذه الحرب وهو الذى سوف يكون فى غـده من أكبر الساخطين على العدوان وعلى الحرب أيا كانت بواعثها ...

وكان لزاماً على من يتطوع أن يقضى سنتين فى صحبة الجيش العامل قبل أن يسمح له بحمل السلاح والقتال ، ولـكن تولستوى كان يطمع أن يتخذ مكانه فى الصفوف قبل انتهاء هذه المدة بما عسى أن يبدى من مهارة وقوة ، وإن خياله ليسهل له كل شىء فـما إن يفكر فى أمر حتى يحسبه حقيقة واقعة ، وإنه ليحدث نفسه بأن عمله فى الجيش سوف يكسبه خبرة بالحياة والناس ، وسوف يخلق منه شخصاً جديداً ، إذ أنه بهذا العمل ينجو ممـا يغريه به الفراغ والشباب من عبث ولهو ...

ولـكنه لا يلبث إلا قليلا حتى يكتب لأخيه يقول له : « أثبت فى كتابى الأخير إليك كثيراً من اللغو ، وكان أبرزه ما أشرت إليه من رغبة فى التحاق بفرقة الفرسان ، وسوف لا أفعل ذلك إلا إذا فشلت فى امتحاناتى أو إذا كانت الحرب ذات خطر » .

وجاء الربيع يبعث البهجة والحياة فى كل حى ، وطافت بخيال الفتى مجاليه فى أسحاره وآصاله ، هناك فى ضيعته المحبوبة ياسنايا بوليانا ، فسرعان ما انطلق من جامعة بطرسبرج كما انطلق قبل من جامعة قازان ، وسرعان ما أبعد عن فـكره وخياله العمل فى الجيش وفى الوظائف المدنية جميعاً ، ثم أقبل على ياسنايا ، وليس فى نفسه هذه المرة من عزم إلا تعلم الموسيقى !

( يتبع ) **الخفيف**

# النطق وكيف نشأ فى الانسان
# وفى الحيوانات العليا ؟

للاستاذ نصيف المنقبادى المحامى

## ٢ — نشوء النطق فى الانسان

### التفاهم بالأصوات :

وفى الوقت نفسه استعان أفراد النوع الإنسانى على التفاهم بالأصوات — فوق لغة الإشارات المتقدم بيانها — وقد بدأوا بالأصوات الطبيعية للتعبير عن الانفعالات النفسية أو الآلام الجسمانية والحاجات الحيوية كالتنهد والتأوه والأنين والتأفف وغير ذلك كما تفعل الأطفال والحيوانات . وما نزال نرى لغات بعض القبائل المتوحشة التى تعيش فى أواسط أوستراليا وفى أواسط أمريكا الجنوبية فى هذا الطور من تطورات لغة البشر إلى الآن ، فإنهم نظراً لقلة مواد لغاتهم البسيطة يضطرون للتعبير عن أغراضهم إلى الإكثار من استعمال الإشارات . فإذا تكلموا صوّتوا وأشاروا بأيديهم وأرجلهم وأعينهم ، والإشارات جزء من لغتهم لا يمكنهم الاستغناء عنه فهم لا يستطيعون التفاهم ليلا . وألفاظ لغاتهم أقرب إلى الأصوات الطبيعية ولغات القرود العليا منها إلى ألفاظ سائر لغات البشر

وهناك قبائل أخرى بأوستراليا لا تسعفهم لغتهم فى التعبير عما وراء الاثنين بلفظ واحد إذ ليس لديهم من الألفاظ العددية إلا لفظتان فقط وهما « نتات » أى واحد ، و « نايس » أى اثنين . فإذا أرادوا ثلاثة أضافوهما إلى بعضهما وقالوا : « نايس نتات » أو أربعة « نايس نايس » أو خمسة « نايس نايس نتات » أو ستة « نايس نايس نايس » . أما السبعة وما فوقها فيقفون عندها حيارى وهم يعبرون عنها بقولهم ما معناه « كثير »[1] .

ثم بارتقاء الناس عقلياً ومدنياً وتقدمهم فى الحياة الاجتماعية مع قيام حاجات جديدة لهم ؛ كل هذا جعلهم يتصرفون فى ألفاظهم الأولى ويتوسعون وينوعونها ويفرعون ألفاظاً أخرى فيها إما بتقليد أصوات الطبيعة وانفعالات النفس وإما بالرمز إلى المعانى بألفاظ كانت تدل فى بادىء الأمر على الماديات ، كما يفعل الأطفال إلى الآن . فأول لفظة يتفوه بها الطفل الرضيع عند ما يبدأ فى النطق هى « أم » أو « ما » يقصد بها الرضاع ، وهو فى هذا يعبر تعبيراً طبيعياً عن ذلك المعنى لأنه إنما يقلد الحركة الآلية الفسيولوجية المحض التى يقوم بها للاطباق بشفتيه على ثدى أمه وهو حين يفعل ذلك كأنه يلفظ حرف الميم الذى لا يمكن النطق به إلا بإطباق الشفتين على بعضهما . ثم يتقدم الطفل فى السن والنطق قليلا فيتوسع فى ذلك اللفظ الطبيعى إلى « مَمْ » يطلقها على الرضاع أولا ثم على جميع أنواع الأغذية ، وعلى والدته نفسها ويفرع منها « ماما » .

وهذا عين ما حدث للانسانية نفسها فى أول عهدها بالنطق ولذلك نجد أن جميع شعوب العالم تعبر عن الأم ( أى الوالدة ) بألفاظ متشابهة فى جميع اللغات تشترك فى حرف الميم سالف الذكر .

وكانت اللفظة الواحدة فى اللغات الأولى القديمة وفى اللغات المتأخرة الحديثة تدل على الإسم والفعل على اختلاف أزمنته (الماضى والمضارع والأمر) ، ولم تكن الضمائر وحروف الجر والنسبة والإضافة وغيرها قد ظهرت بعد . فكان الناس — وما زالوا فى كثير من اللغات البسيطة إلى الآن — ينوّعون معانى اللفظة الواحدة بإضافة لفظة أخرى إليها . فالصينيون مثلا لخلو لغتهم من حرف الجر « فى » يستعيضون عنه بلفظة « وسط » فيقولون « وسط مملكة » أى « فى المملكة » ولأنهم لا يعرفون حرف الباء السببية يستعملون بدلها كلمة كاملة مستقلة . فعند ما يريدون التعبير مثلا عن معنى « قتل رجلاً بالعصا » يقولون « قتل رجلاً واستعمل عصا » .

وتتقدم لغات البشر خطوة أخرى باستعمال الألفاظ الدالة على المحسوسات والأجسام المادية للتعبير عن المعانى الرمزية والمعنوية فلا تشتمل كثير من اللغات البسيطة القديمة والحديثة على كلمة تدل على معنى الصلابة ، ولهذا يستعمل المتكلمون بها لفظة « حجر » للتعبير عن ذلك المعنى كما فعل الناس فى لغة إشاراتهم وكما يفعل الخرس الآن . ولا تشتمل لغات أخرى على لفظة تؤدى معنى الطول فيعبرون عنه بلفظة « ساق » ، وعن لفظة مستدير بقولهم

(١) كتاب الفلسفة اللغوية لجورجى زيدان .

« مثل القمر » . ويستعمل العرب أحياناً لفظة « قلب » المـادية للتعبير عن «وسط» فيقولون « قلب المدينة » بدلاً من « وسط المدينة » وذلك لأن القلب في وسط الجسم . ولفظة وسط نفسها تحولت في لغتنا العصرية من المعنى المادى ونعنى به وسط الأجسام إلى معنى معنوى محض أى وسط غير المـاديات وصارت تستعمل بمعنى بيئة .

وقد استطاع علماء نشوء اللغات وتطورها واشتقاقها أن يردوا معظم الألفاظ المستعملة الآن في اللغات الحديثة إلى أصول بسيطة تحاكى أصواتاً طبيعية أو انفعالات نفسية أو آلاماجسمانية أوتقلد فعلا مادياً مألوفاً ، ويطول بنا المقام لو اردنا استيعاب ذلك فنكتفى ببعض أمثلة عن أصول الألفاظ العربية نقتبسها من كتاب جورجى زيدان الذى نحن بصدده . فمن ذلك ألفاظ : قط وقطب وقطف وقطع وقطم وقطش وقطل ، فإنها جميعها تتضمن معنى القطع والأصل المشترك بينها هو لفظة قط وهو حكاية صوت القطع كما لايخفى — وباللغة الإنجليزية أيضاً « كت » Cut — وبتطور اللغة وارتقاء المتكلمين بها في المدنية تنوعت مدلولاتها بإضافة لفظة ثانية إلى لفظة قط للتعبير عن مختلف معانى القطع ، وعلى ممر الزمن ضمرت اللفظة الثانية كما تضمر أعضاء الحيوانات والنباتات ، وكادت تندثر ولم يبق منها الآن إلا حرف واحد اندمج في لفظة قط وصار وإياها كلة واحدة بالطرق المقررة فيعلوم فقه اللغات .

ومن متنوعات « قط » لفظاً « قص » ومنها قصم وقصل وقصب وقصر وقصف وقص ، وجميعها تفيد القطع وتحاكى بعض أصوات تنوعاته القطع بالمقص . ومن تحولات قص لفظة كَسّ وهى محاكاة صوت الكسر ولا سيما كسر الخشب — وبالفرنسية Casser أى كَسَّـرَ — ومنها كَسّ وكسر وكسع وكسم . وتحولت « قص » لفظاً من ناحية أخرى إلى « جز » ومنها جذه وجذب ( بمعنى انقطع فيقال جذب الريق أى انقطع ) وجذف وجذم وجميعها تتضمن معنى القطع أوتنوعاته ويجانس جَذّ جَزّ وهو محاكاة صوت قص الشعر وتنوعت منه جَزّ وجزء وجزر وجزع وجزل وجزم . وإن تنوع معنى القطع يفوق المئات عداً فضلاً عن اشتقاقات كل لفظة منها إسماً وفعلا ونعتاً وفاعلا ومفعولا ثلاثياً ورباعياً وخماسياً وغير ذلك مما تطورت إليه اللغة وتحولت من أصولها البسيطة الأوّلية . وكانت تدل في أول استعمالها على معان حقيقية حسية ثم أطلقوها على معان مجازية وكلها ترجع إلى أصل واحد وهو محاكات صـوت طبيعى وهو صوت القطع .

وهكذا الحال بالنسبة لمعظم ألفاظ اللغة . فمن « هَبّ » بمعنى ثار أو هاج تفرع هَبّ وهيج ( أى ضرب ضرباً شديداً ) ، وهبذ أى أسرع في المشى وهبش بمعنى هيج التقدمة ، وهبص الرجل أى نشط أو عجل ، وهبا الفرس أى فر . وهى جميعها تتضمن معنى « هب » وهى محاكاة صوت اللهيب إذا نفخه الإنسـان أو نفخه الريح . ومن الألفاظ التى تدل على السرور وطلاقة الوجه : بسّ وبساء وبسم وبسط وبسل وبش أى حسنت سحنته وجميعها ترجع إلى معنى واحد وهو « بس » التى يغلب أنها تحولت لفظاً عن بش وهى من الأصوات التى ينطق بها الإنسان غريزياً عند الاسـتحسـان كقول العامة إذا استحسنوا شيئاً أو أعجبوا به « إش » ومنها بشّ . ووجه بشوش . ومن ضروب معانى الفتح فق وفقاء وفقح وفقر وفقص وفقس وفقش . والعامة تقول فقع ، وترجع جميعها إلى « فق » وهى حكاية صوت القربة إذا شقت وهى ملأى أو ما شا كل ذلك من الأصوات القريبة .

وفى الأمثلة المتقدمة جاء الحرف المزيد — المشتق من كلمة إضافية قديمة — فى آخر الكلمة الأولى وهذا هو الأغلب ولـكن قد يكون فى الوسط أى بين الحرفين الأصليين كشلق من شق ، وفرق من فق ، وقرط من قط ، وقرص من قص وقرض من قض ، وشرق من شق ، ولحس ولمس ولهس من لس .

وألفاظ أخرى كثيرة مشتقة فى الأصل من أصوات طبيعية تعبر عن انفعالات نفسية أو حالات جسمانية فسيولوجية يخرجها الإنسان أو الحيوان باختياره أو عن غير قصد مثل « آه » للتألم والتهد . ولا يخفى أن الآلام وسـائر انفعالات النفس تحدث اضـطراباً فى التنفس عن طريق الجهاز العصبى فيضطر الحزين أو المتموم أو المهموم أن يستنشق من فترة إلى أخرى كية زائدة من الهواء ليعوض ما فاته من التنفس الناقص أثناء اضطرابه أو حزنه . وهذا هو التهد بعينه : وقد اشتقت من لفظة « آه » ألفاظ كثيرة منها التأوه وتأوهَ ومنها لفظة « تنهد » نفسها . ومن

ذلك الهمهمة وهى الصوت الحاصل من الزفير عند الحزن ومنها الهم والمهموم الخ . والزفير أى إخراج النفس بشدة عند عمل شاق والشخير وهو محاكاة النائم وهو يغط . والنحنحة والعطاس والسعال . ومن ذلك لفظة « وى » وقد تركب منها ومن اللام لفظ ويل ويعبرون بها على التفجع أو حلول الشر واستعملوها إسماً لوادٍ فى جهنم ، وشقوا منها ويلة بمعنى فضيحة وركبوا من ويل ألفاظ أخرى منها ويح ، ومنها ويب وربما كان أصلها « وى أب » للاستغاثة بالأب ولفظة ويخ » ربما كان أصلها « وى أخ » للاستغاثة بالأخ . وكذلك الألفاظ العديدة المشتقة من كلمة أف ومنها الأنف والتأفف والنفخ وغيرها .

ويؤيد أن اللغة العربية نشأت هكذا أننا نجد تلك الألفاظ الأصلية فى أخواتها العبرية والحميرية والأشورية والحبشية والكلدانية والمصرية القديمة وجميعها مشتقة من أصل أو أصول قديمة اكتشفت آثار بعضها ولا زال بعضها الآخر مجهولا . وهى مجموعة اللغات المسماة باللغات الشرقية أو السامية . ويمكننا أن نتبين هنا أصل نشوء وتنوع وتطور الأسماء والأفعال على تباين صورها والحروف المختلفة كحروف الجر والنفى والإضافة والإشارة وكذلك الضمائر، ويمكننا أن نتتبع كيفية تحول جميع هذه الألفاظ وتسلسلها من اللغات السامية القديمة إلى اللغة العربية وأخواتها السامية الحديثة كالعبرية وغيرها . ولكن المقام لا يتسع لذلك فنكتفى بمثل أو مثلين :

فالظرف « مَعْ » فى لغتنـــا العربية يقابله فى العبرية « عِم » ، وفى السريانية « عَمْ » فلا شك فى أن « مَعْ » العربية مقلوبة عن « عم » العبرية والسريانية . ومن الغريب أن هذه اللفظة نفسها تفيد أيضاً فى هاتين اللغتين — فوق معنى الظرفية — معنى « شعب » ومعنى « العم الشرعى » . فيستدل من ذلك أن الأصل فيها معنى الاجتماع والاتحاد فاستعملوها إسماً للعم الشرعى وانتقلت للعربية كما هى ، واستعملوها أداة عطف وانتقلت إلى العربية مقلوبة — أو أنها قلبت فى الطريق .

ولفظة « ليس » النافية فى اللغة العربية أصلها « لا » حرف النفى و « أيس » التى معناها فى العبرية الكون أو الوجود ولم تنتقل هذه الكلمة إلى العربية أو أنها انتقلت ولم تلبث حتى اندثرت لعدم استعمالها . فلفظة ليس المستعملة الآن فى العربية معناها نفى الوجود و « أيس » هذه بمعناها المذكور موجودة فى كثير من اللغات السامية وغير السامية . فهى فى العبرية القديمة « يش » ، وفى السريانية « إيت » ، وفى اللاتينية والسنسكريتية والفارسية واليونانية وفروعهن « إيست est » أى الكون أو الوجود ، وفى الفرنسية القديمة المتسلسلة من اللاتينية كما لا يخفى « إيست est » أيضاً ومنها تحولت فى الفرنسية الحديثة إلى فعل être الذى أصله فى الفرنسية القديمة estre الذى يفيد معنى الوجود أو الكينونة وأن عبارة Vous étes أصلها Vous este ومعلوم أن حركة « ^ » المسماة Accent circouflee المستجدة فى الفرنسية الحديثة حلت محل حرف « S » فى الفرنسية القديمة وعلى هذا النحو تحولت لفظة « hostel » بمعنى فندق إلى hôtel .

وكلمة « مال » العربية التى يعتقد جمهور الناس أنها لفظة ثابتة قائمة بنفسها إنما هى مركبة فى الواقع من « ما » الموصولة ولام الإضافة كقولهم ما للرجل وما عليه أى الذى له والذى عليه ، وقد اندمج هذان الحرفان على مر الزمن وأصبحا كلمة واحدة مستقلة بمعنى المال . واشتقت منها ألفاظ عديدة منها مول واشتقاقاتها فعلا وإسماً وفاعلا ومفعولا ، ومنها ملك وملكية ومملوك وفعل ملك وامتلك الخ ومنها ملك وجمعها ملوك . ولا يبعد أن يكون مال يميل مأخوذ عن تلك اللفظة لأن الميل فيه معنى الحب والرغبة ، والمال أحب شىء للانسان .

وما يقال عن اللغة العربية وأخواتها وأجدادها السامية يقال عن اللغات الهندية الأوروبية والطورانية وجميع لغات العالم .

***

وخلاصة القول إن النطق ظاهرة طبيعية محضة بدأت على أبسط صورة فى الحيوانات العليا التى تعيش جماعة مثل بعض الطيور وبعض أنواع ذوات الثدى وعلى الأخص القرود العليا ( أما النمل فله طريقة صامتة للتفاهم والتعبير ) . وقد ارتقى النطق واتسع فى الإنسان نتيجة العوامل الطبيعية المتقدم بيانها التى أدت تطور النوع الإنسانى وتحوله إلى شكله الحالى . فالفرق بين الإنسان والحيوانات إنما هو فرق فى الدرجة فقط — درجة التطور — وليس فى طبيعة الأمور

# نقل الأديب

## للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

### ٨٩٥ — بين ملك وعالم

نفح الطيب : قال الحجارى صاحب ( المسهب فى أخبار المغرب ) :

كنت كثيراً ما أستشكل هذه التسمية لما قال غير واحد أن ( المسهب ) إنما هو بفتح الهاء . والفقرة الثانية وهى المغرب تقتضى أن يكون بكسر الهاء ، ولم يزل ذلك يتردد فى خاطرى إلى أن وقفت على سؤال فى ذلك رفعه المعتمد بن عباد سلطان الأندلس إلى الفقيه الأستاذ أبى الحجاج يوسف بن سليمان النحوى الشنتمرى المشهور بالأعلم ، ونص السؤال :

« سألك — أبقاك الله — الوزير الكاتب أبو عمرو بن غطمش — سلمه الله — عن ( المسهب ) وزعم أنك تقول بالفتح والكسر ، والذى ذكره ابن قتيبة فى أدب الكتاب والزبيدى فى مختصر العين ( أسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر الكلام بالفتح خاصة ) فبين لى — أبقاك الله تعالى — ماتعتقد فيه ، وإلى أى كتاب تسند القولين لأقف على صحة من ذلك » .

فأجابه : « وصل إلىّ — أدام الله تعالى توفيقك — هذا السؤال العزيز ، ووقفت على ما تضمنه ، والذى أحفظه وأعتقده أن (المسهب) بالفتح المكثر فى غير صواب وأن المسهب ، بالكسر البليغ المكثر فى الصواب ، إلا أنى لا أسند ذلك إلى كتاب بعينه ولكنى أذكره عن أبى على البغدادى عن كتاب ( البارع ) أو غيره معلقاً فى عدة نسخ من كتاب ( البيان والتبيين ) على بيت فى صدره لمكى بن سوادة :

حصر مسهب جرىء جبان      خير عى الرجال عى السكوت

والملقة : ( تقول العرب أسهب الرجل فهو مسهب وأحصن فهو محصن وألفج فهو ملفج إذا افتقر ، قال الخليل : يقال : رجل مسهب ومسهب ، قال أبو على : أسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر فى غير صواب ، وأسهب فهو مسهب بالكسر إذا أكثر وأصاب ، قال أبو عبيدة : أسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر من خرف وتلف ذهن ، وقال أبو عبيد عن الأصمعى : أسهب الرجل فهو مسهب بالفتح إذا خرف وأهتر ··· ) انتهت الملقة . فرأى مملوكك — أيدك الله تعالى — واعتقاده أن المسهب بالفتح لا يوصف به البليغ المحسن ولا المكثر المصيب ، ألا ترى إلى قول الشاعر ( حصر مسهب ) أنه قرن فيه المسهب بالحصر وذمه بالصفتين ، وجعل المسهب أحق بالعى من الساكت والحصر فقال : ( خير عى الرجال عى السكوت ) والدليل على أن (المسهب) بالكسر يقال للبليغ المكثر فى الصواب أنهم يقولون للجواد من الخيل مسهب بالكسر خاصة لأنها بمعنى الإجادة والإحسان ، وليس قول ابن قتيبة والزبيدى فى المسهب بالفتح هو المكثر من الكلام بموجب أن المكثر هو البليغ المصيب ، لأن الإكثار من الكلام داخل فى معنى الذم لأنه من الثرثرة والهذر ، ألا تراهم قالوا : رجل مكثار كما قالوا : ثرثار ومهذار . فهذا ما عندى والله ( تعالى ) الموفق للصواب

---

وقد نشأت اللغات — وهى ظاهرة اجتماعية طبيعية محض — من النطق بأصوات بسيطة لجأ إليها الإنسان الأول للتفاهم وكان يعبر بها عن الانفعالات النفسية أو الآلام الجسمانية أو الحاجات الحيوية ، ويقلد بها الأصوات الطبيعية للأشياء والأفعال المختلفة أو أصوات الحيوانات والطيور أو عوامل الطبيعة . ثم تصرف فيها وتوسع بالنحت والاشتقاق والقياس والإضافة والإدماج وتحويل الألفاظ من معانيها المادية إلى المعانى الرمزية والمعنوية الخ طبقاً لحاجاتهم المستجدة مع تقدمه فى المدنية وارتقاء الحياة الاجتماعية والعقلية . فصارت اللغات البسيطة الأولية تتطور هكذا تطوراً يختلف باختلاف البيئات والأقاليم فنشأت اللهجات المختلفة واستمرت هذه فى التطور والتحول عن أمهاتها حتى أصبحت لغات جديدة مستقلة تولدت من كل واحدة منها لغة أو لغات أخرى تسلسلت منها اللغات القديمة ثم الحديثة على نحو تطور الكائنات الحية النباتية والحيوانية (بما فيها الإنسان) وتسلسل الحديث منها من القديم طبقاً لنواميس التطور والتحول الطبيعية التى تشمل كل ما فى الكون وعلى الأرض من الجمادات والكائنات الحية (وهى صورة من صور الجمادات ومظهر من مظاهرها) واللغات والشرائع والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية .

**نصيف المنقبادى**

### ٨٩٦ – أبو بكر ، على

وفيات الأعيان : كانت لأبى الفرج بن الجوزى فى مجالس الوعظ أجوبة نادرة ، فمن أحسن ما يحكى عنه أنه وقع النزاع ببغداد بين أهل السنة والشيعة فى المفاضلة بين أبى بكر وعلى (رضى الله عنهما) فرضى الكل بما يجيب به الشيخ أبو الفرج ، فأقاموا شخصاً سأله عن ذلك وهو على الكرسى فى مجلس وعظه فقال : أفضلهما من كانت ابنته تحته. ونزل فى الحال حتى لا يراجع فى ذلك ، فقالت السنية : هو أبو بكر لأن ابنته عائشة (رضى الله عنها) تحت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقالت الشيعة : هو على بن أبى طالب (رضى الله عنه) لأن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تحته . وهذا من لطائف الأجوبة ، ولو حصل بعد الفكر التام وإنعام النظر كان فى غاية الحسن فضلا عن البديهة .

### ٨٩٧ – وخير منه عندى

فى (بدائع البدائه) لعلى بن ظافر الأزدى :

أخبرنى القاضى السعيد (ابن سناء الملك) قال: أخبرنى الشريف الجليل الوافد من العراق على الدولة المصرية قال : اجتمعت فى بعض الأيام بأمين الدولة أبى الحسن هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ فأخذنا فى ذم الدهر وإخنائه على أهل الفضل[1] وإذا بكلاب الصيد التى برسم الخليفة قد أبرزت فى جلال[2] الوشى والديباج فحرك ذلك ما كنا نتجاذب أهدابه فى الدهر فقلت :

من كان يكسو الكلاب وشيا (م) ثم يقشع لى بجـــ لدى

واستجزته فقال :

الكلب خـــير عنـــده منى ، وخير منه عندى ...

### ٨٩٨ – خفيف على القلب ...

الكنايات للثعالبى : حدثنى أبو جعفر محمد بن موسى الموسوى قال دخلت يوماً إلى الشيخ أبى نصر بن أربد ببخارى وعنده علوى مبرم قد تأذى بطول جلوسه وكثرة كلامه ، فلما نهض قال لى نصر : ابن عمك هذا خفيف على القلب ، فقلت : نعم

(١) جوره عليهم .

(٢) جل الدابة كثوب الانسان يلبسه يقيه البرد والجمع جلال وأجلال (المصباح) ...

مساعداً له على رأيه . فتبسم ضاحكا من قولى ، وقال لى : لم تفطن للغرض ، فما زلت أفكر حتى وقع لى أنه أراد خفيفاً مقلوبا وهو الثقيل ، وهذا المعنى أراد أبو سعد دوست بقوله :

وأثقل من قد زارنى وكأنما تقلب فى أجفان عينى وفى قلبى
فقلت له لمــا برمت بقربه أراك على قلبى خفيفاً على القلب

وكان الناصر العلوى الأطروش إذا كلمه إنسان فلم يسمعه قال له : يا هذا ، ارفع صوتك ، فإن بأذنى بعض ما بروحك ، يكنى عن الثقل .

### ٨٩٩ – أيشربن مثه هذا الشراب ؟

الحيوان للجاحظ : حدثنا ربعى الأنصارى أن عجوزاً من الأعراب جلست فى طريق مكة إلى فتيان يشربون نبيذاً لهم ، فسقوها قدحاً فطابت نفسها وتبسمت ، ثم سقوها قدحاً آخر فاحمر وجهها وضحكت ، فسقوها قدحاً ثالثاً فقالت : خبرونى عن نسائكم بالعراق أيشربن من هذا الشراب ؟

فقالوا : نعم .

فقالت : زنين ورب الكعبة ...[1] .

### ٩٠٠ – يأمم بأبى فروخ ...

الحيوان للجاحظ : قال بعض ظرفاء الكوفيين :

فإن يشرب أبو فروخ أشرب وإن كانت معتقة عقـــارا
وإن يأكل أبو فروخ آكل وإن كانت خنانيصاً صغارا

### ٩٠١ – ماذا وراءك أو ما أنت يا فلك ؟

نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى: قال أبو العلاء المعرى:

يا ليت شعرى وما ليت بنافعة ماذا وراءك أو ما أنت يا فلك
كم خاض فى إثرك الأقوام واختلفوا
قدماً فما أوضحوا حقاً ولا تركوا
شمس تغيب ويقفو إثرها قمر ونور صبح يوافى بعده حلك
طحنت طحن الرحى من قبلنا أمماً
شتى ولم يدر خلق أية سلكوا
وقال : إنك طبع خامس نفر عمرى لقد زعموا بطلا وقد أفكوا
راموا سرائر للرحمن حجبها ما نالهن نبى لا ولا ملك

(١) فى شرح المقامات للشريشى : يزنين ورب الكعبة ، والله لا يدرى أحدكم من أبوه ...

# زرقاء العيـون

للاديب عبد العظيم عمر زين الدين

حينما ترحل النجوم عن السكو ... ن إلى عالم من الخلد زاخر
حينما تختفى الرؤى سابحات ... وتجوز الأحلام وادى الخواطر
حينما يحمل النسيم من الشـ ... رق بشرى السنا إلى كل ساهر
تجدينى يا فتنتى أتعـلى ... نور دنياك فى بشاشة طائر

حينما ينضج الندى وجنة الور ... د فتهتز للشروق النواظر
حينما يبسم الضياء على الأ ... فق ابتسام الآمال فى قلب حائر
حينما تبعث النسـائم بالمو ... ج فينساب فى افتتان الناسر
تجدينى أطوى الطريق لوادي ... ك وظلى على البحيرة سائر

حينما تنفض العذارى من الجـ ... ن غلالاتهن من كل ساتر
يتمطين فوق أرجوحة المو ... ج ويرقصن فى عيون الأزاهر
حينما تسرح الفراشات عطشى ... لرحيق على الشفاه النواضر
تجـدينى أدق بابك فى رفـ ... ق وقلبى للحسن حى الشاعر

تجدينى بباب كوخك نشوا ... ن ، أحييك فى الضياء الحبيب
فرحتى باللقاء تطلق روحى ... تتهادى مع النسيم الرطيب
لتزيح الستار عن خدرك الحا ... لم بالسحر ، بالرؤى ، بالغروب
وانعلى الضياء من صدرك الخا ... فق بالحب ، بالحنان العجيب

ياصبا العمر، ذاك مغناك نادى ... والحبيب الشوق ، هيا أجيبى
وخذينى من قفرة الوجد والشو ... ق إلى ساحل الهوى، واعبرى بى
أنا أهوى الجمال منك رحيقاً ... ينبت الحب فى الفؤاد الجديب
وحياة تفيض فيها معان ... كل يوم جديدة فى القلوب

أنا عندى كل الذى تنشد ... ين فهاتى ، كما وعدت نصيبى
فى عيونى نجوى يصوبها الشو ... ق لعينيك ، فى حنان غريب
وبقلبى من أسطر الحب قرآن ... طهور ترتيله فى وجيبى
وحواليك هالة من حنانى ... اتراعيك دائماً من قريب

عجب ما أرى بعينيك من عمـ ... ق ، ومن فتنة ، ومن أضواء
وغريب هذا الشعاع الذى يجـ ... ذب روحى للجنة المتنائى
والنـداء القهار يسلبنى رشـ ... دى ، فوبلاه من فتون النداء !
أترى فيه لو تبعت خلودى ؟ ... أم أرى مصرعى وألقى فنائى ؟

حدقى بى يا فتنتى ، ودعينى ... فى خيالى ومسرحى وانتشائى
واجعلينى أنسى كيانى،وعمرى، ... ونعيمى ، وبهجتى ، وشقائى
وأرى الدهر والمكان بعينيـ ... ك وسحر الرؤى ، ونور السماء
أطلقينى فى ظل جفنيك أحيا ... عبقرى الصبا ، جديد الرواء

حدقى بى . يا جنتى يا جحيمى ... يا دوائى من غلتى وشقائى
وأزيحى الخصلات عن خدك النا ... عم حتى أرتاد دنيا الضياء
سكن الكون حولنا وأصاخ الـ ... مع ما حولنا من الأحياء
والغدير الرجراج كف عن السـ ... ير ، ومال الصفصاف للاصغاء

أسندى رأسك البديع إلى صد ... رى وكونى رفيقتى فى هيامى
وصلى من طريق عينيك روحيـ ... نا ، وطوفى بصدرى المترامى
واجعلينى أحس أنى قد نلـ ... ت نصيبى الموعود من أيامى
واغمرى وجنتى من أفق عينيـ ... ك بنور من الرضا والسلام

أنا راو ، أتيت واديك وحدى ... من وراء الأزمان والأيام
من بلاد لم يعرف الحب أهلو ... ها فماشوا فى وحشة وظلام
قضوا العمر فى قيود من الجـ ... م وأفنوه فى انتظار الحمام
وذوى القلب بينهم من ظماء ... وقضى دون دمعة أو سلام

إن قوى قد شيعونى كميت ... قربوه فى معبـد الآثام
قيل : ذو جنة يعيش على الحـ ... لم ، ويحيا فى عالم الأوهام
وفتى راح فى الخيـال بعيداً ... وفقدناه فى خضم الزحام
آه .. ياليتهم يرون مسرا ... ت المنى ، وفرحة المستهام

خبرينى ، ما قصة العين والجفـ ... ن ؟ إذا أنشدا حديث الغرام
وعظات الكهان فى معبد الحب ... وأسـطورة الهوى فى الأنام
أنت أهلى ، وشيعتى وقبيـلى ... وبواديك موطنى ومقامى
ومنـامى على هواك وصحوى ... وابتدائى فى ظـله وختامى

# الأدب والفن في أسبوع

**رجالنا المنسيون :**

كتب أديب فاضل في جريدة « الأهرام » مقالا عن المغفور له حفني ناصف بك بمناسبة ذكرى وفاته ، وقد اقترح على الحكومة أن تهتم بإنشاء مدفن فخم تضم فيه رفات أولئك الرجال المبقريين تخليداً لذكرهم واعترافاً بفضلهم وتذكيراً للأبناء بما أسدوا وأجدوا في خدمة أوطانهم .

وليس هذا الاقتراح بالجديد ، فقد ردده كثيرون من قبل ، على أن الرجاء في تحقيقه ضئيل بل معدوم ، لأننا أمة تعيش على مبدأ « مات الميت فليحيى الحى » وليس من شيمتنا تقدير الفضل لذاته ، ولا الاعتراف بالجميل لأصحابه حتى ولو كان أصحاب هذا الجميل هم أبناؤنا وأساتذتنا وأعز الناس على نفوسنا . ولهذا طوى كثير من رجالنا الكبار في مطاوى النسيان ، وأصبحوا - بعد أن ملأوا الدنيا بأعمالهم - في خبر كان ...

حفني ناصف ومحمد سلطان ومحمد المهدى ومحمد الخضرى وعبد الوهاب النجار وعبد العزيز جاويش وغيرهم من الطلائع الذين تخرجوا في دار العلوم لا يعلم عنهم أبناء دار العلوم شيئاً ، ولا يحسون أثراً من فضلهم وعلمهم ، ولا يقفون على شيء من ذكرهم وخبرهم !

ومحمد عبده وأبو خطوة والرصفى والعباسى وعلى يوسف ، وعشرات من إخوانهم الذين تخرجوا في الأزهر لا يعرف عنهم أبناء الأزهر شيئاً ولا يحسون أثراً من فضلهم وعلمهم ولا يقفون على شيء من ذكرهم وخبرهم ! !

وأمين الرافعى وسيد كامل ومحمد مسعود وعبد القادر حمزة وتوفيق فرغلى ، وعشرات الصحفيين من إخوانهم لا يعلم عنهم أبناء الصحافة اليوم شيئاً ولا يحسون أثراً من فضلهم وعلمهم ، والصحفيين ناد يجتمعون فيه ولكنك مع الأسف لا تجد فيه صورة واحدة من صور أولئك الصحفيين الذين أيقظوا وجدان الأمة وبنوا كيان الشعب .

ومن مثل ذكر أحمد زكى وأحمد تيمور وتوفيق العدل والنجارى والفلكى وسواهم من الأعلام الأفذاذ عليهم رضوان الله أجمعين .

وأسفاه ! كأننا جيل خلق بدون آباء وتربى من غير أساتذة فلا تقل يا سيدى مقبرة للأدباء ، ولكن قل لعل الأبناء أن يذكروا الآباء .

---

نبئيني يا زهرتى — أى ربع … كان مهداً لزهرتى — أى وادى؟
أى دوح أظل عودك ريا … ن ، ونبع سقى صباك الهادى؟
أى أفق بزغت فيه ضياء … كان صحواً ويقظة في البوادى؟
أى فذ أخذت عنه أناشيـ … ـدك حتى قدست في الإنشاد ؟

———

علم الله أن هذى مغانيـ … ـك بعينيك في جلاء بوادى
والعهود البيضاء من عمرك الزا … هى أمامى من ليلة الميلاد
وأراها على شواطىء نبع … أزرق اليم ، صافى الإزباد
تتهادين كالنسيم وكالحـ … ـلم ، وكاللحن في جمال التهادى

———

كالفراش النشوان من بهجة النو … ر ، طليق على المروج . وغادى
خطرات الأقدام منك على الشط … كوقع الندى على الأعواد
يلثم الزهر طرف ثوبك حباً … ويناجيك في جوى العباد
وتحليك هذه الشمس إعجاباً … بتاج من السنا الميـاد

———

يا فتاتى هذى مغانى مرآتك … تبدو في مقلتيك ندية
ذلك العالم المـلىء بأرواح … عذارى وأنفس سحرية
لفها الطهر في غلالات حس … وبراها خلاقها عذرية
أنت فيها لحن بديع سماوى … المعانى ، مخلد العبقرية

———

فإليها حيث التلاقى خلود … ومسراتنا بهـا أبدية
وخذينى على جناحك مشتا … قاً وعودى للسحر — يا جنية
سوف نحيا بها سوياً كأنا … نرجسات غيسانة ريه
ولنا الحب والجمال معان … ساميات في روحنا علوية

**عبد العظيم عمر زين الدين**
كلية الآداب — اسكندرية

### تأثير الأندلس في أوربا وأمريكا :

بمناسبة المحاضرات التي ألقاها أخيراً المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسيال بجامعة فاروق الأول عن الشعر العربي في الأندلس أذكر أن الشاعر الأسباني « فرنسيسكو فيجاسباتسا » ألقى محاضرة منذ عشرين عاماً في مدينة « بيونس أيرس » أشاد فيها بأخلاق الشعب العربي في الأندلس وأطرى سجاياه النبيلة وما فطر عليه من الفصاحة والسليقة الشعرية ثم قال « وإن هذه السليقة الشعرية لتكاد تكون ملوسة بنغماتها فيه ومعانيها في الشعر الشعبي الذي تعبر به الأمة الأسبانية عن مشاعرها الحقيقية ، وقد انتقلت هذه الروح العربية من أسبانيا إلى أمريكا اللاتينية بواسطة هذا الشعر الشعبي الذي حمله إليها الأسبانيون ولا سيما المهاجرون من الأندلس الذين كانوا في طليعة المستعمرين لأمريكا الجنوبية ! !

هذا ما شهد به مفكر كبير من أبناء أسبانيا ، ولست أدري رأى المستشرق بروفنسيال في هذه الحقيقة ، ولعله يكون قد عرض لها في حديثه عن تأثير الشعر الأندلسي في أوروبا .

### التأثير الديني :

لاحظ القائمون بأمر المسرح الشعبي في وزارة الشئون الاجتماعية أن الناحية الدينية هي أقوى مؤثر على عواطف الجماهير واجتذاب مشاعرهم ، ولهذا يفكر المشرفون على هذا المسرح في استغلال هذه الناحية على أوسع مدى فيما يقدمون إلى أبناء الريف من المشاهد والتمثيليات .

وهذا في الواقع أمر مفهوم ، فإن الشعب المصري شعب متدين بالفطرة ، وهو أقدم شعوب الأرض اتجاهاً إلى الله ، ولا يزال للنغم الديني في الشرق عامة سحره ولذته ، وإن من الواجب أن تقوم دعاياتنا الاجتماعية على ما يتجاوب مع عواطف الشعب وينسجم مع روحه ومشاعره ، ولا يمكن أن تفيد تلك الدعاية وتؤتي ثمرها إذا جرينا فيها على التقليد للغرب واقتباس المواطف الغربية عنا ، وما دامت وزارة الشئون الاجتماعية قد لمست هذا بالتجربة فلعلها تتجه ذلك الاتجاه ، بأن تتبين نفسية البيئات الشعبية وتتلمس الأوتار الحساسة في عواطف الجماهير وميولهم فتضرب عليها وتأخذهم إلى الإصلاح من طريقها .

### تمثال للأمير شكيب :

قررت الجالية اللبنانية في الولايات الأمريكية إقامة تمثال لفقيد العروبة الأمير شكيب أرسلان اعترافاً بفضله على العرب والأدب وتقديراً لخدماته الجليلة للأمم العربية في حياته ، ووفاء لذلك الرجل العظيم الذي عاش غريباً مشرداً ينادي بالحرية والاستقلال لسائر الأقطار العربية .

وهذا واجب تؤديه الجالية اللبنانية في مطارح الغربة ، ولكن يبقى على أبناء العروبة في الوطن الأصيل أن يحملوا للفقيد تذكاراً حيث نشأ وحيث جاهد وناضل ليذكر الأبناء ويشحذ من عزيمة الأحفاد ؟ !

### نشيد عالمي للشباب :

يعقد الاتحاد العالمي للشباب الديمقراطي مهرجاناً عالمياً في مدينة براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا يستمر من ٢٠ يوليو القادم إلى ١٧ أغسطس ، وستجري في هذا المهرجان مسابقة عالمية لاختيار نشيد للشباب الديمقراطي العالمي ، على أن يكتب النشيد بأية لغة ثم يترجم عند تقديمه إلى الانكليزية أو الفرنسية أو الروسية أو الإسبانية ، ويشترط فيه أن يعبر عن أفكار الشباب الديمقراطي ورغباته في قيام تفاهم عالمي وسلم دائم يشمل جميع أبناء الأرض ، وأن يصور مرح الشباب وحيويته وحماسته ، وقد طلب الاتحاد من هيئات الشباب الديمقراطي في أنحاء العالم أن تقوم بتنظيم مسابقات محلية لاختيار نشيد تتقدم به إلى المسابقة العامة التي ستجري في ذلك المهرجان العام .

وأنا لا أثق بمثل هذه المسابقات ولا أعتقد أنها تنتج نشيداً له سحره وحيويته وفيه من القوة وفيض الإيمان ما يضمن له الخلود والبقاء والاتصال بالقلوب ، ذلك لأن الأناشيد لا تصنع ولا تقترح على الشعراء والأدباء ، ولكنها تكون فيضاً من الإيمان والحماسة يتنزل على الشاعر في فترة من فترات التجلي كتنزل الوحي ، وجميع الأناشيد الحماسية الخالدة لم يكن مبعثها إلا هذا . أما الأناشيد التي تصنع وتقترح فإنها أشبه ما تكون بالأناشيد التي تصنع لتلاميذ المدارس .

وعلى أية حال فأي معنى سيؤثره الشباب في نشيده ، أهو — كما يقول — الرغبة في قيام تفاهم عالمي وسلم دائم في جميع

أنحاء العالم ، وما قيمة هذه الرغبة وما جدواها بازاء ذلك التناحر الذى يقوم بين السياسيين فى مؤتمراتهم حول اقتسام النفوذ وفرض السلطان على الضعفاء ؟ !

**معرض الكتاب اللبنانى :**

يعتقد القائمون بنشر الكتب العربية فى لبنان « أن الكتاب اللبنانى فى مصر مغمور ومحاط بالغموض ، وأن ذلك يرجع إلى نقص فى تنظيم النشر أكثر مما يعود إلى عدم إقبال القراء المصريين » .

لهذا أقيم معرض للكتاب اللبنانى فى دار القنصلية اللبنانية وقد افتتحه وزير لبنان المفوض بعد ظهر يوم الجمعة الماضى بحضور كثيرين من رجال العلم والأدب والصحافة . وتقرر أن يظل هذا المعرض مفتوحاً عشرة أيام وذلك لإعطاء أبناء مصر صورة عن حركة النشر الثقافى فى لبنان .

وقد علمت أن ناشرى الكتب فى بيروت قد اجتمعوا أخيراً وألفوا اتحاداً من بينهم يجمع شملهم ويوحد غايتهم وذلك بالدعاية « للكتاب اللبنانى فى الأقطار العربية والمهاجر المتصلة بها » .

كما أذيع من بيروت أن أصحاب المطابع سيصدرون نشرة دورية باللغتين العربية والفرنسية تشتمل على أنباء الطباعة وأعمال النشر .

ومما يذكر بهذه المناسبة أن معرضاً للكتاب العربى الفلسطينى قد أقيم فى يافا فى الأسبوع الماضى وفى النية إقامة هذا المعرض فى فرصة أخرى وذلك للدعاية للكتاب العربى فلسطين ..

ونحن نرجو أن تقابل هذه الحركة فى لبنان حركة مماثلة فى مصر وفى سورية وفى سائر الأقطار العربية ، وأن يكون هدف الجميع تنظيم أعمال النشر بما يضمن رواج الكتب العربية فى سائر أنحاء العالم العربى ، على أن يراعى هؤلاء الناشرون أنهم يؤدون خدمة ثقافية قومية أكثر مما يحترفونها مهنة تجارية .

**كتاب عن المملكة العربية :**

أصبحت البلاد العربية السعودية فى الآونة الأخيرة مثاراً لاهتمام الباحثين الأمريكيين ومجالا لعنايتهم فى الكتابة والتأليف ولقد كان من مظاهر هذا الاهتمام أن ظهر أخيراً كتاب للكاتب الأمريكى المستر تويتشل باللغة الانجليزية ألم فيه المؤلف بتاريخ تلك البلاد ثم تحدث عن وضعها الجغرافى والاقتصادى ومرافق الاستغلال والانتفاع فيها ، ثم قال إن هذه الصحراء العربية التى كانت مهداً للدين ستصبح مصدراً للثروة وستخرج أمة جديدة تتبوأ مكانتها فى التجارة والرقى الاجتماعى .

وقد وقع المؤلف فى بعض الأخطاء التاريخية وقرر بعض الأحكام التى لا تطابق الحقيقة فى روح الإسلام واتجاهه ، على أن هذا ليس بالأمر المهم لأنه ديدن أولئك الأجانب عادة فيما يكتبون عن الإسلام وبلاد الإسلام فإنهم كثيراً ما يترددون فى فرض الأحكام الخاطئة بحسن نية أو سوء نية ، وإنما المهم الذى يسترعى الأنظار هو أن نلمس هذا الاهتمام المفاجىء عند الباحثين الأمريكيين بتاريخ البلاد العربية السعودية وطبيعة أرضها وسمائها وما فيها من موارد الثروة ومصادر الانتفاع ، فليس من شك فى أنه ليس بالاهتمام الخالص لوجه البحث والعلم ولكنه اهتمام بمجارى السياسة الأمريكية فى اهتمامها بمرافق تلك البلاد ، ومن ثم يجب أن نقابل تلك التآليف التى تظهر فى هذه الناحية بكثير من الحذر وتدقيق النظر

« الجاحظ »

« الرسالة » : بمناسبة ما كتبه « الجاحظ » عن رجالنا المنسيين من العلماء والأدباء والفنانين نقول إن الرسالة تحشد الجهد وتمد العدة لنشر سلسلة من التراجم المستفيضة لأولئك الأعلام والتعريف بآثارهم وآرائهم وستبدأ فى نشرها قريباً ، والرسالة لا تريد أن تستقل بهذا الجهد ، وترجو من جميع الذين لديهم خبر فى ذلك أن يعاونوها على أداء هذا الواجب .




## ليس :

وجود هذا الفعل فى اللغة العربية غريب جداً . غريب فى صيغته ، غريب فى زمنه وغريب فى مادته .

ولقد تنبه القدماء إلى صيغته فقالوا : إن أصله ليس بكسر الياء ولكن الياء سكنت استثقالا ، كما سكنت عين كل ما كان على هذا الوزن[1] ( قاعدة ذكرها المبرد فى الكامل ) .

وأما زمنه فقالوا إنه استعمل بلفظ الماضى للحال ( وهذا غريب سنعلم وجهه ) .

وأما مادته فلم يعرفوا عنها شيئاً أو عرفوا عنها كل شىء فقد ألمعوا إلى أن أصلها لا أيس ( وهى ملاحظة لها خطرها ) .

ويتصل بليس ليت فالمعروف فى النحو أنها حرف تمن ولكن بعض العرب يجريها مجرى الفعل ( كما فى الصحاح ) .

والمهم أن ليت كليس[2] إلا أنها تقدمت خطوة فاحتلت صيغة واضحة فى الأفعال[3] فقيل لات . والأخفش يقول إنهم شبهوها بليس وأضمروا فيها اسم الفاعل .

أما نحن فماذا نقول ؟ نقول كما قال الأقدمون فى ليس : إن أصلها لا أيس كما نقول فى ليت إن أصلها لا أيت . لا معروفة وأيس أوأيت [ ما هى ؟ ] .

أيس هذه رابطة تدل على كون مطلق كأيت وهى فى أكثر اللغات واحدة تقريباً خصوصاً اللغات القديمة . فنى العبرانية ( يش ) وفى السريانية ( إيت ) وفى الفارسية واللاتينية ( أيس ) أو ( أست ) . فى الفارسية أست وفى الفرنسية est وفى الألمانية ist وفى الأسبانية es وفى الإنجليزية is .

وهكذا نجد أن ليت العربية ماهى إلا، لاوأيت السريانية تركت مع لا كما تركت أيس مع لا .

(١) من الأفعال
(٢) غريبة
(٣) المعتله العين

أما ما يختص بزمن ليس فهو بالضبط ما تدل عليه المادة فى اللغات المذكورة : فهو — كما قال الأقدمون — الحال بالرغم من أن صيغتها للماضى .

هذه الكلمة فى أغلب اللغات اختصت بشخص معين عند الربط أما فى العربية وفى الفارسية فلا . نقول فى العربية : لستُ ولستَ الخ كما نقول فى الفارسية . استم أو هستم وهستى وهست وهستيم وهستيد وهستند .

ولكن فى الفرنسية والأسبانية والألمانية والإنجليزية مثلا ليس لها هذا التصرف المطلق كما هو معروف . فقد اختصت بأشخاص دون غيرهم واعتيض عنها فى هذا الغير بروابط من أفعال مختلفة فى مادتها كما سنبين ذلك فيما بعد .

إذاً فقد كانت فى اللغة العربية رابطة للزمن الحالى ولكنها اندثرت ولم تبق منطوقاً بها إلا فى النفى .

وهنا يسأل لماذا اندثرت فى الإيجاب وبقيت ماثلة فى النفى . الجواب عن هذا فى منتهى البساطة . فإن اللغة العربية لم تدون إلا فى مرحلة متأخرة من نموها واستكمالها وإن هذه الرابطة استغنى عنها فى التخاطب لأنها ليست بذات أهمية كبيرة فيه عند الإيجاب ولكنها لم يستغن عنها فى التخاطب إذا كانت فى النفى وهذا ما يحصل بالضبط الآن فى هذه اللغات التى تحتفظ بهذه الرابطة فى كتابتها عند الإيجاب فإنك إذا خاطبت أحد متكلميها وخصوصاً غير المثقف منهم فإنه يستغنى عن الرابطة فى الإيجاب ولكنه لا يستغنى عنها فى النفى .

وإذا اتضح ما قلنا فى ليس فإن الأمر — عند القراء — فى ليت ليس بهذا الوضوح فكيف صارت ليت تدل على التمنى فى اللغة العربية ؟

هذا سؤال نرجىء الإجابة عنه إلى المقال التالى .

وهنا سؤال أيضاً والإجابة عنه تزيد الموضوع وضوحاً ولا تترك فيه أى مجال للشك وهو :

إذا كان الأمر كما قلت فى ليس وأنها مجرد لا + أيس التى للربط فكيف صار خبرها منصوباً بعد أن كان مرفوعاً ؟

والإجابة عنه نتركها حتى نجيب عن ليت بحول الله .

**محمد بن تاويت التطوانى**

ليسانسيه فى الآداب ودبلوم فى اللغات الشرقية

### فلسفة جديدة للألم :

نحن في عصر يحرص أبناؤه على فلسفة كل ظاهرة من ظواهره ، وكل معنى من المعاني التي يحسونها في الحياة ، فهم يحاولون أن يفهموا الأمور بالتحليل والتأويل ، ولا يقنعهم في هذا إلا أن يصلوا إلى طريق غريب ، أو ما يحسبونه هكذا ..

أقول هذا بمناسبة ما جاء في البريد الأوربي أخيراً عن صدور كتاب في بريطانيا بعنوان « من سريري في المستشفى » ألفه كاتب أقعده المرض في أحد المستشفيات وسجل فيه خواطره ومشاعره نحو المرض والعلاج وما انتابه من الألم ، وقد استهل الكاتب كتابه بقوله : « من أكبر الخطأ أن نحسب المستشفى مكاناً للألم والبؤس ، فإن الكثرة الساحقة من الذين يدخلون المستشفيات يخرجون منها صحاح الأجسام ، معافى الأبدان ، تاركين وراءهم الأتراح والآلام ، والهموم والأسقام » .

وتحدث عن شعوره بالألم فقال « إن الألم في الواقع أخف كثيراً من رهبة الألم ، وفي شبابي كان أول ألم يصيبني يقفل عيني بحجاب كثيف من الظلمة التي تبعد قلبي عن الإيمان ، مع أني لم أكن في ذلك الوقت أشكو أكثر من وجع ضرس ، أو خدش ذراع ، وإني اليوم — بعد أن عانيت كثيراً من الآلام المبرحة — لأنظر إلى أوجاعي القديمة بعين الازدراء وأدهش لجبني القديم في احتمال آثارها التافهة الصغيرة » .

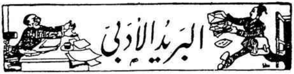
ثم يقول : إن الألم ليس شراً في ذاته ، بل إنه تنبيه يشير إلى وجود الشر ، ويمهد للطبيب استئصال النازلة من موطنها ، لذلك أرى أن إسكات الألم والعمل على تسكينه يحسب أخطر على المرء من إزالة علامات السير من شارع مزدحم بالسابلة » .

ثم يختم هذه الفلسفة بقوله : « إن المرض مادة في ميثاق الحياة ، فبعض الناس يحيون بدون كتب أو نزهات أو موسيقا ، والأسكيمو يعيشون على نصيب ضئيل من نور الشمس ، وأهالي جزر الباسفيك لا يقدمون الثلج وليست لهم به حاجة ، والرهبان والراهبات يحرمون أنفسهم كثيراً من اللذات ، ولكن الجميع يصرون على استكمال حياتهم إذا شابها شيء من نقص ، أو اعتراها أثر من مرض ... » .

### الحدود الإنسانية :

هذا عنوان كتاب ألفه أحد العلماء في جامعة تكساس بأمريكا وجعل قوامه دعوة موجهة إلى رجال العلم والفكر أن يوجهوا اهتمامهم إلى دراسة الإنسان وأن يعنوا بأنشاء فرع من العلوم هدفه فهم الإنسان على حقيقته :

ويقول هذا الباحث في كتابه إن الخطر الذي يهدد الإنسانية ليس خطراً خارجاً عنها ، ولكنه كامن في أطوائها ، فليس ثمة خطر من القنبلة الذرية وغير القنبلة الذرية وإنما الخطر كل الخطر مما يدور في داخل الإنسان ويتجه بتفكيره ، ثم يقول إن المتاعب الناشئة الآن كلها نتيجة لعدم فهم الإنسان للإنسان ، ولهذا يجب على العلماء أن يتجهوا إلى هذه الناحية وأن يوفروا علمهم على الناس وتعرف البواعث والانفعالات التي تحركهم على مسرح الحياة في جميع أدوار حياته ، ومتى كان الإنسان مفهوماً في داخله استطعنا أن نتلافى الأخطار التي تهدد الإنسانية من الخارج ...




## نعت الاسم المجموع بفعل (جمع أفعل وفعلاء) :

قرأت فى العدد (٧١٢) من رسالتكم تعليقاً[1] لحبر اللغويين فى بلاد الشام الأستاذ الكبير محمد إسعاف النشاشيبى على نعت الاسم المجموع بفعلاء وقد أجاز ذلك — حفظه الله — وأشار فى أثناء التعليق إلى قول لى وقول للأستاذ الرافعى رحمه الله فى النعت المذكور، وقدم محصول رأيه بقوله : « نعتوا الاسم المجموع بفعلاء وفعل وليس فى كلام المبرد فى الكامل مايدل على منع النعت بالمفرد » . وإنى أرى فى كلامه ما يدل على المنع، قال « فإن أردت نعتاً محضاً يتبع المنعوت قلت : مررت بثياب سود وبخيل دُهم، وكل ما أشبه هذا فهذا مجراه[2] » . أراد به النعت الغالب الذى دخل فى الاسمية والنعت المحض، وكرر تقرير القاعدة فى موضع آخر[3]، فمنع نعت الجمع بفعلاء مستفاد من قوله : « وكل ما أشبه هذا فهذا مجراه » مريداً « أفعل » الذى هو اسم و « أفعل » الذى هو نعت، ومن قوله « نعتاً محضاً يتبع المنعوت » مريداً « أفعل » الثانى، لأن التمثيل يغنى عن التفصيل، ويجوز فى هذا الفن تعليل حكمين بعلة واحدة، والإيماء من مسالك العلة[4] . أعنى أن فى قول المبرد إيماء إلى وجوب جمع النعت المحض بعد المنعوت المجموع وإن كان ظاهر مراده تكسير الصفة دل على ذلك تمثيله بـ « ثياب سود » ، ومفرد الثياب مذكر وبـ « خيل دهم » ولا بد من تأنيث الخيل، فقد جمع بين المذكر والمؤنث فى التمثيل، ولو لم يرد تلك النكتة النعتية لاقتصر على المثال الأول، ثم إن تركه الإتيان بمنعوت عاقل مجموع مثل « نساء دعج ورجال شوس » دليل على أنه لا فرق بين العاقل وغيره فى هذا النعت .

(١) فى الموضوع المترجم بـ « نقل الأديب » ص ٢٣٠
(٢) الكامل للمبرد « ج ١ ص ٣٩ » من طبعة الدلجونى .
(٣) الكامل ج ٢ ص ٢٥٠ من الطبعة المذكورة .
(٤) السيوطى فى « الاقتراح ص ٥٥ و ٥٨ » ناقلا من الخصائص

ويجب أيضاً طرد الحكم فى هذه المسألة فيقال « يجب جمع الخبر بأفعل وفعلاء إذا كان المبتدأ جمعاً أو دالا على الجمع[1] مثل « ثيابهم سود وخيلهم دهم » ، ويجب الجمع فى الحال أيضاً، وعليه قول المتأخر :

بأنا نورد الرايات بيضاً ... ونصدرهن حمراً قد روينا

ولولا أن قوله — تعالى — « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » خاص بالعاقل لاستشهدت به، على أن نعت الاسم المجموع بفعل لغة القرآن الكريم كقوله تعالى « عاليهم ثياب سندس خضر » « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود[2] » « وسبع سنبلات خضر » .

وكيفما كان الأمر فإن القاعدة ثابتة باستقراء كلام الله تعالى وكلام العرب، وهو عندى أقوى الأدلة، أما الجملتان اللتان استدل بهما الأستاذ الكبير العالم على جواز نعت الاسم المجموع [لغير العاقل] بفعلاء وفعل فقد عراهما تحريف فى النعت نفسه، فالأولى « وترى جراد البقول والرياحين وديدانها خضراء ... » والأصل « خضراً » جمع خضراء، إلا أن الناسخ زاد بعد الألف همزة وغيّر صورتها، وحرّك جمعها، والثانية « فتراها كلها سوداء » والأصل « سوداً » بالنصب والجمع ولكن الناسخ فعل بها ما قد فعل بخضراً[3] . وقد جرى كثير من هذا التصحيف فى « فعل » النكرة المنصوبة، دون المرفوعة والمجرورة، ومن ذلك ما ورد فى رسم « لوب » من مختار الصحاح[4]، ونصه : « اللوبة والنوبة بوزن الكوفة فيهما : الحرة اللابسة حجارة سوداء » والأصل — وهو الصواب — حجارة سوداً . ألا تراه قد قال فى رسم « حرّ » من الكتاب نفسه « والحرة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار » . وفى الصحاح من طبعة العجم « قال أبو عبيدة لوبة ونوبة للحرة وهى أرض ألبستها حجارة سود (كذا) » . فهذا القول على تحريف فيه جُمِع فيه النعت لما لم يكن إلى النصب المحرف إلى الافراد سبيل، وفى نهاية

(١) منه قول عنترة :
فيها اثنتان وأربعون حلوبة ... سودا كخافية الغراب الأسحم
وقوله تعالى « متكئين على رفرف خضر » .
(٢) وقيل إن الأصل « سود غرابيب » .
(٣) هذه محكية كما هو ظاهر
(٤) ص ٦٠٧ من طبعة وزارة المعارف المصرية

المجد ابن الأثير « اللابة : الحرة وهى الأرض ذات الحجارة السود التى قد ألبستها لكثرتها » . وجاء فى المغرب للمطرزى « اللابة واللوبة : الحرة وهى الأرض ذات الحجارة السود » . وعلى ذلك جمهور اللغويين .

فالخطأ الذى انسرب فى نسخة وزارة المعارف المصرية من مختار الصحاح إنما هو من آثار النُّساخ السيئة ، وكذلك القول فى الجلتين اللتين ذكرها الأستاذ الكبير — على مامرّت إشارتنا إليه — فلا يصح الاستشهاد بهما ، وما أظن سعادته إلا عادلة منذ اليوم عن الاحتجاج بهما ، وهو المرء ينتجع الحق فى ساحته ويستفاد العلم من قلمه وتستعذب مساجلته لمجده وسمو خلقه .

مصطفى جواد

## فى ديوان البحترى :

فى « الرسالة » رقم ( ٧١٤ ) عقب الأستاذ محمد النجار على بيتين للبحترى — صاحب الشعر الشاعر — كانا قد وردا فى تعقيب للأستاذ أحمد شكرى فى « الرسالة » رقم ( ٧١٣ ) فقال إن فى البيتين تحريفاً كما فى الديوان ، فشمس صوابها مشمّس — وهو ضرب من الخمر — كما ذكر الأستاذ ، وحب صوابها صُبّ .

قلت : الأستاذ الفاضل مصيب فى هذا التصويب . هذا وللديوان طبعتان ، إحداهما مصرية — حيا الله مصر وأهلها — والأخرى بيروتية ، وقد جاءت الكلمتان فى طبعة بيروت بصوابهما لم تفقداه ، إلا أن هناك تغييراً فى صورة البيت :

إذا صُبّ فى الكأس مسودّة فكف النـــديم لها مجبره

ففى طبعة بيروت ورد البيت هكذا :

إذا صُبّ مسودّة فى الزجاج فكأس النـــديم به مجبره

ولعلّ هذه هى الصورة الصحيحة للبيت ، فإن كأس النديم أولى بأن تشبه بالمجبرة من كفّه .

( نابلس ) فدوى عبد الفتاح طوقان

## رسالة الوعظ والإرشاد :

مساهمة لها أثرها الفعال فى نفوس الجماهير ؛ تلك التى يضطلع بها — مكتب الوعظ والإرشاد فى ذكرى مولد الحسين - فهو يعد عدته لمحاربة تلك العلل التى تهد كيان الأمة الروحى والاجتماعى عن طريق إذاعة المحاضرات بواسطة مكبرات الصوت . وليس فى هذا من جديد يستحق النظر والتسجيل ، إنما الجديد حقا هو هذا الأسلوب الذى يصطنعونه فى الطب لهذه الأدواء ، فهو أسلوب جديد ، جدير بالتشجيع لـما له من التأثير الاجتماعى والخلقى فى روح الأمة ، لأنه يقوم على تناول أمراض البيئة وتصويرها فى صور مؤثرة مخيفة ، حتى إذا ثارت بواعث كراهيتها لتلك الأمراض ، وبرزت دفائن احتقارها اياها ، قدم لها العلاج الإسلامى فى أبهى حلة ، وسقاها إياه شرابا طهورا ، فلو استطاع العلماء الذين ينهضون برسالة الوعظ فى الأمة أن يدرسوا خصائص كل بيئة وعقليتها وأمراضها ، ويحاولوا علاج ما فيها على هذا الضوء . لكان لرسالتهم صداها القوى ؛ فى الإصلاح الاجتماعى والخلقى ، وما أشد حاجة الريف خصوصا إلى أمثال هذه الجهود التى تأخذ بيده فى حياته الاجتماعية والخلقية المتعثرة ، فليس هناك من يستطيع انتشاله من هوته غير رجال الدين إن صح عزمهم ، وقوى نشاطهم ، واتسعت ثقافتهم الاجتماعية والنفسية بجانب ثقافتهم الدينية ، حتى يتهيأ لهم أن يسيروا فى معالجتهم تحت ضوئها ، وأن يهتدوا فى تأدية رسالتهم بإرشادها ، فتختفى هذه الظاهرة التى كانت تملأ النفوس خزيا عندما كان الخطيب يرتقى المنبر . ثم يحدث الجمع الريفى الجاهل الفقير عن مضار التصييف فى المصايف الأوربية . وأمثال هذه الموضوعات التى لا صلة بينها وبين من يحاول إصلاحهم ، مما كان له أسوأ الأثر فى تدهور الأمة اجتماعيا ، وخلقيا ، ولعل رجال الوعظ — وفيهم — صفوة من الشباب المثقف — يتلافون ماورثوه عن عصور الركود والجمود والظلام ، وأن يؤدوا واجبهم فى عصر العلم ، وفى عصف المذاهب الاجتماعية المتضاربة ، وإزاء تلك الموجة الإلحادية التى ترمى إلى التخلص من الأديان ، كما يجب أن ينهض به رجل الدين فى عصر الثقافة والنور .




قصة من روائع الأدب الروسي :

# الملك والناسك . . !

للفيلسوف الروسي ليو تولستوي

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

زعموا أن ملكا من ملوك القرون الغابرة الأولى . قيل له أن الفشل والإخفاق لن يعلكا إليه سبيلا ، إذا ما أدرك دواماً خير الأحيان للانطلاق في العمل الذي يروق لباله ويعن لخاطره . وإذا ما ألم بأجدر الناس بالإنصات إليهم والإصغاء إلى حديثهم ... ومن هم أولئك الذين ينبغي عليه أن يجانبهم ويرغب عن مجلسهم ! . . وإذا ما تناهى علمه إلى معرفة أحق الأشياء بالعمل وأخلقها بالتحقيق فأمر الملك رجاله بأن يذيعوا في آفاق مملكته ، أن كل من يشير على الملك بخير الأوقات للعمل وأجدر الناس بالإنصات والصحبة وأفضل الأشياء وأحقها بالعناية والرعاية سوف يجازى جزاء حسناً ويحظى بهبة سنية من لدنه ... وأقبل العلماء وأهل الخبرة والتجربة من كل فج على الملك يتنافسون ويتسابقون يجلون له ما غمض عليه ويجيبونه على ما سألهم إياه . بيد أنهم تباينوا في آرائهم وتعارضوا في أقوالهم واختلفوا في مشورتهم . فقال بعضهم - جواباً على السؤال الأول - أن ليس ثمت سبيل إلى معرفة خير الأحيان إلا بتسطير لوحة تسجل عليها الأيام والأشهر والسنون ، ولا يسير المرء في شئون الحياة إلا وفق نظامها . وبهذا ينجلي المرء أي الأوقات خير من الأخرى وقال بعضهم إن ذلك لا يتأتى إلا بالفطنة واليقظة لما مضى ولما يجد من الأمور . فيتعرف على خيرها وأبلغها أهمية فيبتدره في حينه. وقال فريق منهم إنه مهما توخى الملك الدقة والبراعة في معرفة أجل الأوقات ، فلن يبلغ مبتغاه . فمن أشق الأمور وأعضلها على الرجل الواحد أن يقرر الخير فيما يتراءى له من الأوقات ... وعليه أن يعقد مجلساً من أصحاب الحكمة في دولته فيلقى منهم عوناً صادقاً على تحديد الوقت اللائق الموفق

واختلفت آراؤهم على السؤال الثاني . فأجابه البعض بأن أجدر الناس بالرفقة والإصغاء هم أهل الشورى والحكمة ، وقال آخرون بأنهم رجال الدين والأطباء ... بينما رجح البعض أن الجند هم أفضل من يستفيد المرء من قربهم ... أما عن السؤال الثالث فرأى جمع منهم أن أحق الأشياء بالرعاية هو العلم ... ومال آخرون إلى أنه الحذق والبراعة في فنون الحرب والقتال . وارتأى بعضهم أنه الفناء في عبادة الله عز وجل وتأدية فروض الدين على أكمل وجه ...

فلما استبان للملك أنهم لم يستقروا على رأي صائب راجح منع عنهم عطيته ... وعقد في نفسه عازماً على أن يتوجه إلى ناسك ذاعت شهرته وطبقت حكمته كل أفق بعيد ... يستلهمه النصيحة ويستوحيه المشورة ... وكان ذلك الناسك يتعبد في جوف غابة لا يبرحها أبداً ... ولا يلقى من الناس إلا الفقراء والمعوزين . فأحاط الملك نفسه بثوب بسيط ، ليس عليه من ظواهر الملك شيئاً ... وترجل عن جواده وخلف حرسه على مبعدة وانطلق وحده ... فلما أدرك الناسك ألفاه يفلح الأرض أمام صومعته ... وحينما أبصره الناسك بادره بالتحية ، وانثنى إلى فأسه يضرب بها أديم الأرض ... فكانت الضربة التي يهوي بها فيقلب الترب تستنفد ما بقي في جسده من قوة ، وتجعله يبهر من الأعياء ويبهج من التعب ... فقد كان شيخاً ضعيفاً وهنت عظامه ووهت قواه . . !

فدنا الملك منه وأفصح له عما في نفسه قائلا : « أيها الناسك الجليل ... لقد أتيت إليك — عن نأي — أروم جوابك عن أسئلة ثلاثة : « أولها : كيف يتاح لي أن أعلم خير الأوقات لأنجز خير الأعمال ؟ » ، « وثانيهما : أي الناس أولى بالصحبة وأجدر بالاهتمام ؟ » ، « وثالثها : ما هي الأشياء التي تستوجب مني العناية وتستحق التفرغ لها ؟ » . فأصغى الناسك إليه منصتاً ، بيد أنه لم ينبس ببنت شفه جواباً ... وبصق في راحتيه وعاد ينبش الأرض بفأسه وهو يفلحها من جديد ... فارتفع صوت الملك — وقد لمح ما على الناسك من دلائل الضعف وظواهر الوهن : لقد بلغ التعب والإعياء منك مبلغاً ... فناولني الفأس ، أتولى عنك الإفلاح حيناً .! » فلما هوى الملك بالفأس إلى الأرض مرتين ، رفع رأسه إلى الناسك ، وسأله ثانية جواباً على ما بسطه له وصارحه به ... فلم يتلفظ الناسك بشيء ، بل مد ساعده إلى الملك يبتغي الفأس قائلا « استرح قليلا ، ودعني أوالي العمل برهة ! » ولكن الملك رغب عن أن يعطيه الفأس ، وعاد يحتفر الأرض .

تصرمت ساعات اليوم ومال ميزان النهار وتولى الضياء عن صفحة الكون ... وراحت الشمس تتوخى سبيلها إلى المغيب فى حمرة موردة وراء الأشجار السوامق ... فألقى الملك الفأس من يده وهو يقول : « لقد أتيت إليك أيها الناسك الجليل أبتغى جواباً لأسئلتى الثلاثة ! فإن كنت لا تود أن تجيبنى عليها تخبرنى ... لأنقلب إلى دارى . ! » فقال الناسك وهو يمد طرفه إلى الأفق « ثمة من يعدو ! . فدعنا نرى من يكون ! . » فتلفت الملك وراءه ... فالتقى طرفه برجل ذى لحية كثة يركض نحوهما ! . . وقد أمسك يديه على بطنه ، والدم يتفجر خلال أنامله . فلما بلغ مكان الملك هوى أمامه على الأرض وهو يئن ويتأوه فى حدة وألم ... وقد تولاه الإغماء ... فراح الملك والناسك ينضوان عنه ثيابه ... فألفيا فى بطنه جرحاً غائراً فى الأمعاء ... أخذ الملك يغسله بالماء .. ويضمده بمنديله ثم برباط أتاه به الناسك من صومعته ... بيد أن الدم لم ينقطع سيله ، فعاد الملك يغير الرباط الملطخ بالدم بآخر أقتطعه من ثيابه ... فلما توقف فيضه عن الجريان والنزف عاد إلى الرجل الجريح رشده وصوابه وأفاق من غشيته ... وطلب بعضاً من الماء فواتاه الملك بما سأله إياه ... وكانت الشمس حينئذ قد هوت كالجمرة خلف الأفق وغابت عن صفحة السماء ... وشاع البرد فى كل مكان ... فاستعان الملك بالناسك على رفع الرجل وحمله إلى داخل الكوخ حيث استقر فى الفراش وأغمض جفونه وراح يغط فى وسن هادىء وسبات عميق ! وارتمى الملك فى ركن من الكوخ وقد أعياه العمل وأضناه العناء والكدح فأغرق هو الآخر فى النوم .

حينما استيقظ الملك فى صبيحة اليوم التالى ، كاد ألا يذكر أين مكانه ، ولا يعرف ذلك الرجل الملتحى الذى يقبع فى فراشه يحدق فيه ويرنو إليه بعينين نفاذتين . . . قال الرجل — وقد أحس أن الملك بدأ يستعيد وعيه ويفيق من نومه وراح ينظر إليه —

« أضرع إليك أن تشملنى بعفوك ! » فأجابه الملك فى رنة عجب :

« إنى لا أعرف من أنت ... فعلام ترجو عفوى ؟ ! » —

« أنت لا تعرفنى بيد أنى أعلم من أنت ! . فأنا ذلك العدو الذى أقسم غير حانث على أن ينزل بك نقمته وعدوانه جزاء ما أعدمت أخاه وانتهبت داره وشردت أهله ... فقد تناهى إلى علمى أنك قاصد إلى الناسك ... فبيت النية وعقدت العزم على أن أنهز هذه البادرة وأقتلك وأنت فى سبيل العودة . . ! ولكن اليوم تقضى ولم أستبن لك أثراً . . ! فبرزت من مكمنى لأنقب عنك . . ! فلمحنى رجالك وتعرفوا على ، وأصابونى بجرح بالغ فى بطنى .. لقد أفلت منهم فتلقتنى براثن الموت ، وكدت أن أسلم الروح لولا أن توليتنى بعنايتك فأسيت جراحى وآويتنى فى هذا الكوخ ... لقد كنت متعمداً قتلك فأنقذت حياتى . . جزيت خير الجزاء . . . والآن لو امتد بى الأجل فسوف أقوم على خدمتك — إن رضيت — عامر القلب بالإخلاص لك كعبد من عبيدك الأوفياء ... وكذلك أبنائى وأهل بيتى فقد قيدت عنق ربهم بمعروف لن ينساه فأسألك أن تعفو عنى وتغفر لى ! » فاستخف الملك الفرح والبشر وطربت نفسه وطاب قلبه بما رأى من السلم والوفاق الذى عقده مع عدوه فى بساطة وهدوء فكسبه صديقاً وفياً . فلم يعفُ عنه فحسب بل أخبره بأنه سوف يبعث إليه بخيرة أطبائه وخدمه ليقوموا على العناية به ووعده بأن يرد عليه ماله المسلوب ويعيد إليه ملكه المغصوب .

غادر الملك صاحبه الجريح وأخذ يتلفت فى ساحة الكوخ باحثاً بعينه عن الناسك ليرجوه من جديد أن يجيبه على أسئلته . . فألفاه جاثياً على ركبته يغرس الحب فى النقر التى احتفرها البارحة فدنا منه ودعاه قائلا : « إنى أرجوك لآخر مرة أن تجيبنى على ما سألتك إياه ... أيها الحكيم الجليل » ... فأجابه الناسك وهو ما زال جاثياً على ساقيه الرقيقتين « لقد أجيبت على ما تود ! ! »

فتساءل الملك فى دهش وعجب « كيف أجيبتُ ؟! وما الذى تمنيه »

فرفع إليه الناسك رأسه وعلى ثغره ابتسامة ، وقال فى صوت شاع فيه الهدوء والرزانة : « ألم تر أنك . لو لم تترفق بى وترحم ضعفى بالأمس ولم تهيىء لى هذه الحفيرات بل انطلقت فى سبيلك لهاجمك ذلك الرجل وبلغ منك مقتلا ... وحينئذ كنت تقعد نادماً تأكل قلبك الحسرة وتتمنى لو أنك مكثت لا تبرحنى . إن خير وقت كان فى ذلك الحين الذى كنت تحتفر فيه الأرض ... وكنت أنا أولى الناس باهتمامك ورعايتك ... وكان أفضل عمل أديته هو الإحسان إلى ... وبعد حين أتانا ذلك الرجل يسعى راكضاً .. فكان أدق وقت هو ذلك الذى توليته فيه بعنايتك وحدبك ... إذ لو أنك رغبت عن معونته لقضى دون أن تحظى منه بسلام وتحمد ولذا كان هو أجدر الناس وأحقهم بالاهتمام والعطف وكان ما أديته له من معروف من أروع أعمالك وأجل فعالك . فاعلم إذن أن ليس ثم إلا وقت واحد يستحق منك الاهتمام ذلك هو « الآن » الذى تكون فيه ... فهو الآونة الوحيدة التى تتملك فيها قوتك وقدرتك ، وأحق الناس بأن تعنى به هو من يكون معك فأنت لا تدرى إذا كنت تعامل غيره بعد ذلك أو يكون هو آخر من تعامل ! وأجل الأشياء وأعظمها شأناً هو أن تبادر بالخير والمعروف إلى غيرك . فلهذه الغاية السامية فطر الإنسان فى هذا الكون .

( القاهرة ) مصطفى جميل مرسى